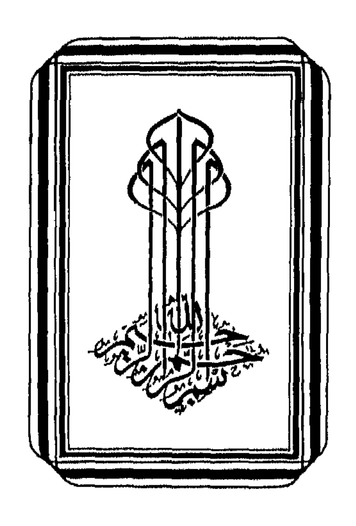
فصل الخطاب

فى مواقف الأصحاب

تأليف

الشيخ محمد صالح أحمد الغرسى

١٤١١هـ - ١٩٩٠م



الاهـــــداء

قد جرت عادة كثير من المؤلفين بإهداء مؤلفاتهم إلى شخصيات مرتبطة بهم أو هم مرتبطون بها .

وإذا جرينا على طريقهم فمن واجب الاعتراف بالجميل أن نقول احق من يهدى اليه هذا العقد الفريد الذى هو ثمرة من ثمار جهوده الجبارة التى بذلها فى خدمة الإسلام .

رافع راية التحقيق والعرفان الباذل قصارى جهده في نشر علوم الإسلام .

الواقف كل ما اتاه الله من مواهب وقوى على خدمة الإسلام والمسلمين .

المهاجر فى سبيل خدمة الإسلام وارضاء مولاه للدنيا والراحة وجميع أصناف الملاذ .

شيخى الذى فى حجره تربيت وفي أحضانه ترعرعت وفى اعتابه نشأت .

المربى العظيم والمرجع الحكيم الشيخ محمد العربكندى

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين . . . وبعد .

يتهاون بعض المؤرخين والمؤلفين وبعض عامة الناس في الحديث عن بعض الصحـابة رضى الله عنهم ومواقفهم تجاه الأحداث التى جرت في حياتهم فيتناقلون بعض الوقائع التي تسيء إلى بعض صحابة رسول الله وأمهات المؤمنين دون تمحيص أو تدقيق ، اعتمادا على مصادر غير موثوقة وروايـات صادرة عن بعض الجهلة من الـروافض والمبتدعين والزنادقة والمنافقين واليهود والنصارى الحاقدين على الإسلام العاملين على الكيد له في كل زمـان ومكان . فهم لا يتورعون عن القدح في صحابة الرسول الكرام مخالفين بذلك أوامر الله ورسوله التي وصفتهم بالعدالة والاستقامة فكانوا كما وصفهم الله في قوله عز وجل : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (سورة آل عمران ١١٠) وقال فيهم الرسول الكريم طه عليه أفضل الصلاة والتسليم : «لاتسبوا أصحابي فوالله لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مدّ أحدهم ولانصيفه» متفق عليه .

والواجب على كل مسلم الامساك عما شجر بين الصحابة وعدم نسبة شيء منه إليهم بمجـرد وروده في كتـاب أو سماعـه من متحـدث ، وأن لا يذكـروا إلا بأحسن الـذكر . أما المؤرخون والمؤلفون والباحثون عن

الحقيقة فيجب عليهم التثبت من الأخبار وحمل ما يثبت من أفعالهم على الاجتهاد فهم خير الأمة ودعاة الحق وبلغوا القرآن والحديث .

وقد بذل الشيخ / محمد صالح أحمد وفقه الله جهدا طيبا في مؤلفه (فصل الخطاب في مواقف الأصحاب) فقد أبحر فى نفائس الكتب ودقق في المراجع التاريخية الموثوقة ليبين لنا مواقف الصحابة كما هى لا كما يريد المغرضون ويفترض الحاقدون . لقد أوجز القول في هذا الباب الواسع ولكن دون خلل . فقد حقق المسائل ووزن الوقائع وتحرى الحق وأنصف الكل ولم يتعصب للبعض فجمع ولم يفرق ووحد ولم يشتت وبنى ولم يهدم وأوضح لكل ذي بصيرة أحوال صحابة الرسول رضوان الله عليهم ومواقفهم الحكيمة في معالجة ما يعترضهم من أمور ومشكلات وأنهم في كل تصرفاتهم مجتهدون في نصرة الحق وإعلاء راية التوحيد .

نفع الله بهذا السفر القيم جميع أبناء الأمة الإسلامية وجعله أحد الرايات التى يقتدى بها ويرجع إليها في تحليل بعض مواقف الصحابة وما وقع بينهم من اختلاف في مسائل كلها محل الاجتهاد .

وجزى الله المؤلف خير الجزاء لقاء ما قدم لدينه وأمته والله الهادى إلى سواء السبيل .

د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ○ الرحمٰن الرحيم ○ مالك يوم الدين ○ إياك نعبد وإياك نستعين ○ اهدنا الصراط المستقيم ○ صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين آمين

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت وسلمت وباركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد

واشهد ان لا آله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله

اما بعد فهذا كتاب فريد فى بابه ○ تليد فى مادته ولبابه طريف فى صورته وجلبا به ○ اتيت فيه بفصل الخطاب ○ فى مواقف الاصحاب ○ ونزهت به سيرة هؤلاء البررة الانجاب ○ عما علق بها من الزور والارتياب اعتمدت فيه كلام العلماء المحققين الثقات وعولت على تحقيقات الأئمة المتقنين الاثبات

ورتبته على مقدمة وستة فصول وخاتمة ○ والله أسأل أن يوفقنى الى حسن العمل وأن يجنبنى الزيغ والخطل. ويعفو عما اثقل كاهلى من الوزر والزلل

تعـريف بالكتاب

للعالم الفاضل السيد محمد خليل الماردينى

بســـــــمالله الرحمن الر حيـــــم

الحمدلله العليم بما كان وما يكون الملهم لمن شاءمن عباده ماشاء من حقائق العلوم .ودقائق الفهوم .

والصلاة والسلام على منبع العلوم والمعارف الحقة سيدنا محمد الهادى الى أصوب العلوم وأقومها وعلي آله وصحبه أجمعين

وبعد فهذا كتاب احتوى على أشد ما تمس إليه الحاجة في هذه الحقبة التى نزل فيها بالمسلمين نائبه لم تنزل بهم قط .

حيث ان البعض الغر من المسلمين يجهلون بمواقف الصحابة بعضهم تجاه بعض ف خضم تلك الفتن التى دخلت اول ما دخلت من تحت قدمى يهودى ماكر مراوغ خادع خبيث يكن الضغن على الإسلام والمسلمين

فهذا البعض الغر لجهلهم بكنه هذا الخطر يتطاولون على بعض الصحابة بحجة الحمية على الدين وهذه الحال مخالفة صريحة للامر النبوى الجليل ﴿الله الله فى أصحـابى لا تتخـذوهم غرضا من بعدى﴾ فيجب على المسلمين عامة التنقيب عن مواقف صحابة نبيهم وحـوارييه والكشف والتمحيص عن احوالهم كى ترد الامور الى نصابها

وسلفنا الصالح رضى الله تعالى عنهم لم يألوا فى هذا المجال جهدا واتوا فى ذلك على كل نقير وقطمير وفتشوا عن جميع ما يأخذه البعض على الصحابة من بعض هنات وبينوا لكل ذلك محامل صحيحة وأجابوا عن كل ما أورد أو يورد باجوبة شافية ملتقاة من كيان التاريخ نفسه لا انهم تمحلوا وتكلفوا فى المناص مما أورد أو يورد من تلقاء انفسهم فاعطوا الامر حقه وراعوا لنبيهم حرمته فى صحابته وأدوا للنقد التاريخى واجبه فجزاهم الله عن الأمة المحمدية خيرالجزاء

ولكن ذلك منتثر فى كتبهم اشد الأنتثار بحيث يحتاج من يريد الأطلاع على كنه الأمرالى المجلدات المتعددة من الكتب المختلفة التى لاتحمل إلا بشق الأنفس تفـرقت الاجوبة فى بطون كبار الاسفار وانغمرت فى متلاطم امواج التاريخ فلابد لمن يحب الاطلاع على الواقع التاريخى للصحابة رضوان الله تعالى عليهم من ان يمتلك على الاقل عشرات المجلدات من كتب التـاريخ وذلك ليس بأمر هين فى هذا الوسط الاقتصادى الباهظ على الكواهل كما أنه يحتاج إلى صرف عشرات الأيام والليالى من زمانه وهو ايضا ليس بمتيسر لكل احدفالحاجة ماسة باشدها إلى كتاب صغير قليل الحجم كبير الفائدة يجمع لباب المسائل

دون القشور يحقق الامر بمعيار الحق ويزن الحال بميزان العدل يتحرى الحق للحق ينصف ولايتعصب يجيب ولا يتمحل يظهر ولا يضمر يوحد ولا يفرق يؤلف ولا يتكلف يدبر ولا يدمر يقل ولايخل وكتاب بهذاالقدْرالرشيق وفى هذا المستوى الرفيع لم نجده الى الان وان وجد فيما مضى فقد اعتدت عليه يد التاريخ ونفته من ساحة الوجود الى قاعة العدم

فمن الله تعالى على اخينا المؤلف المتضلع من تسنيم الاسلام رحيق علومه بهذه الخدمة الجليلة لصحابة رسول الله ﷺ فاعطى المسألة حقها ورد الامر الى نصابه واتى فى هذا الباب الخطير الدخول بما لامزيد عليه وكشف عن مكنونات المسائل نقابها ونقب عن حقائق الامور حجابها

نعم والحق يقال ان هذا عمل جليل يحتاج الى فطنة بالغة وادراك نافذ وبصيرة تامة واطلاع كامل على ما اورد حول هذا الامر المتفاقم كما انه يحتاج فى الوقت نفسه الى جهد جهيد وسعى وفير وفحص تام والتقاط حكيم لكل ماله صلة بالموضوع من نفائس الذخائر؛ وكرائم الجواهر من بطون المحصنات والعواهر ويحتاج الى سياسة رشيدة فى تنظيم صنوف المسائل وتضلع تام بالعلوم ولاسيما باحوال الصحابة وسيرهم وموا قفهم وما يؤخذ ويعترض عليه

فالاخ المؤلف شكر الله سعيه أُعطى الموضوع حقه فحرر وحقق وفحص ودقق واتى وانصف وما مر بقضية الا وقتلها بحثا وتحقيقا وجاهر بالحق على رؤس الاشهاد انصافا له واعطاء لحقه واداء لخدمة جليلة مست الحاجة اليها

وعمله الجليل هذا يتلخص فى أنه عالج بالبحث والتنقيب مواقف هؤلاء الصحابة الذين دار البحث عن احوالهم سلفا وخلفا وقديما وحديثا إنْ من الشيعة أومن بعض اهل السنة كموقف الصديق من فاطمة وهجر ها له ـــ إن كان ـــ وتخلف على عن بيعته ـــ ان وقع ـــ وامرذى النوزين فى عماله وتصرفاته المالية وشأن الذين اشتركوا فى وقعة الجمل وصفين وامر التحكيم.

فلم المؤلف فى هذه الخطوب العظام شتات ماتفرق فى بطون الكتب فاتى بما يشفى الصدور ويثلج القلوب ويزيل دغل البال تجاه بعض من صحابة رسول الله ﷺ وعلى انصاره واشياعه

نعم من الممكن أن بعضا ممن انصبغوا بصبغ محيطهم الجاهل بسيرة ابطال الامة أو ممن تطبعوا بطبيعة الوسط الحاقد على بعض الصحابة الاخيار أوـــ على الاقل ـــ الذين تأثروا بتأثرات غير لا ثقة للا دب الإسلامى الرفيع إذا عاينوا بعض ما فى هذا الدر الثمين أن يشمئزوا منه ويحملوه على التمحل والتكلف وإذا شاهدوا بعض ما فى هذا العقد الرصين أن ينفروا عنه لكن هذا لايجمل بالبا حث العلمي فالمنصف يزن الامور بموازين العدل والنصفة لابميزان الهوى والجور. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

السيد محمد خليل الماردينى

مفتى فزلتيه

المقدمة

فى تعريف الصحابى وفضل الصحابة وبيان ما لهم من العدالة وما يتعلق بذلك

تعريف الصحابى

اختلف العلماء فى تعريف الصحابى وقد تكلم عليه سيد الحفاظ حجرالعسقـلانى فيالاصابة وبين ما هو الصحيح من الاقوال وا الكلام فى تحقيقه ونكتفى هنا بخلاصة كلامه قال رحمه الله :

اصح ما وقفت عليه من ذلك. ان الصحابى من لقى النبى الله تعالى عليه وعلى اله وسلم مؤمنابه ومات على الإسلام. فيد في من لقيه من طالت مجالسته أو قصرت ومن روى عنه أو لم ومن غزى معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم لعارض كالعمى. ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرا ولو أسلم ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى. وخرج بقولنا ومات على الإس من لقيه مؤمنابه ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله وقد وجد ذلك عدد يسير ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يمو سواء اجتمع به صلى الله عليه وآله وسلم مرة أخرى أم لا

وهذا التعريف مبنى على الأصح المختار عند المحققين كالبخار وشيخه احمد بن حنبل ومن تبعهما ووراء ذلك اقوال أخر شاذة(

(١)ألأصابة ج١ص٧ ـــ ٨

نبذة من الأحاديث الواردة فى فضل الصحابة

١ــ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال ○ قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿لاتسبوا اصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولانصيفه﴾(١) متفق عليه

٢ــ عن بريدة رضى الله تعالى عنه قال: قال صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ماتوعد وأنا أمنة لاصحابى فاذا ذهبت أنا اتى اصحابى مايوعدون واصحابى أمنة لامتى فاذا ذهب اصحابى اتى أمتى ما يوعدون﴾ رواه مسلم

٣ ــ عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم﴾ متفق عليه.

٤ــ عن جابر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال: ﴿لاتمس النار مسلما رآنى أو رأى من رآنى﴾ رواه الضياء فى الاحاديث المختارة والترمذى وحسنه

٥ــ عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم. ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم

---

(١)النصيف امابمعنى النصف أومكيال يسع نصف مد

ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك
ان ياخذه:﴾ رواه الترمذى وابن حبان

٦ـــ عن انس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿اصحابى فى امتى كالملح فى الطعام لايصلح الطعام الابالملح﴾ رواه ابو يعلى والبغوى فى شرح السنة

٧ـــ عن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ما من احد من اصحابى يموت بارض الا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة﴾ رواه الترمذى والضياء

٨ـــ عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿إذا رأيتم الذين يسبون أصحابى فقولوا لعنة الله على شركم﴾ رواه الترمذى والخطيب ورواه ابن عدى عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا: إن أشرار أمتى أجرؤهم على أصحابى

٩ـــ عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿إن الله اختارنى واختار أصحابى فجعلهم أصهارى وجعلهم أنصارى وأنه سيجىء في آخر الزمان قوم ينتقصونهم ألا فلا تناكحوهم ألا فلا تنكحوا إليهم ألا فلا تصلوا معهم الا فلا تصلوا عليهم.عليهم حلت اللعنة﴾ رواه الامام الشافعي

١٠-عن جابر رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلي الله تعا لي عليه وسلم: ﴿إن الله اختار اصحابي علي الثقلين سوي النبيين والمرسلين﴾ رواه البزار بسند رجاله موثوقون

١١-عن النبي صلي الله تعا لي عليه وسلم قال: ﴿إذا

ظهرت الفتن–اوقال البدع ـــ وسب اصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعـل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا﴾ (١)

رواه الخطيب في الجامع وروي نحوه ابن عساكر

عدالة الصحابة و اقوال العلماء فيها

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة : اتفق اهل السنة علي أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك الا شذوذ من المبتدعة.ثم قال وقد ذكر الخطيب في الكفاية فصلا نفيسا فقال:

عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم واخباره عن طهارتهم واختياره لهم فمن ذلك قوله تعا لي:كنتم خير امة اخرجت للنـاس (٢) : وقوله : وكذلك جعلناكم امة وسطا : (٣) وقوله : والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه (٤) وقوله ياايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (٥) وقوله: للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر

---

(١) فرضـا ولاسنة (٢)ال عمران ١١٠ (٣)البقرة ١٤٣ (٤) التوبة ١٠٠
(٥) الأنفال ٦٤

اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (١) وقوله تعالى: لقدرضى الله عن المؤمنين اذيبايعونك تحت الشجرة: (٢) فى ايات كثيرة يطول ذكرها وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها وجميع ذلك يقتضى القطع بتعديلهم ولايحتاج احد منهم مع تعديل الله له الى تعديل احد من الخلق على انه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شىء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الاسلام وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأبناء والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين القطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وانهم كافة افضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤن من بعدهم. هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله

ثم روى الخطيب بسنده الى ابى زرعة الرازى قال: اذا رأيت الرجل ينتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فاعلم انه زنديق وذلك ان الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق وانما ادى ذلك اليناكله الصحابة وهؤلاء يريدون ان يخرجوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم اولى وهم زنادقة انتهى كلام الخطيب

---

(١) الحشر ٨ــ٩ (٢) الفتح ١٨

ثم قال الحافظ ابن حجر: قال ابو محمد بن حزم الصحابة كلهم من أهـل الجنة قطعا قال الله تعالى: ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾[1] وقال تعالى ﴿ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون﴾ (٢) فثبت ان الجميع من اهل الجنة وانه لايدخل احد منهم النار لأنهم المخاطبون بالآية السابقة

فان قيل التقييد بالأنفاق والقتال فى الآية يخرج من لم يتصف بذلك وكذا التقييد بالاحسان فى الاية السابقة وهى قوله تعالى: ﴿والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان:﴾ الاية: يخرج من لم يتصف بذلك

فالجواب عن ذلك ان التقييدات المذكورة خرجت مخرج الغالب والا فالمراد من اتصف بالانفاق والقتال بالفعل أو بالقوة.

ثم قال الحافظ وقد كان تعظيم الصحابة ولو كان اجتماعهم بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قليلا مقررا عند الخلفاء الراشدين وغيرهم واستدل على ذلك بآثار يطول نقلها ثم قال وفى ذلك أبين شاهد على انهم كانوا يعتقدون ان شأن الصحبة لايعدله شىء كما ثبت فى الاحاديث الصحيحة (٣)

وقال العلامة القرطبى رحمه الله تعالى: لايجوز أن ينسب إلى احد من الصحابة خطأ مقطوع به اذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل وهم كلهم لنا أئمة وقد تعهدنا الله بالكف

---

(١) الحديد ١٠ (٢) الأنبياء ١٠١ (٣) الأصابة ١ــ١٠ بتصرف

عما شجربينهم وأن لانذكرهم إلاباُحسن الذكر لحرمة الصحبة ولنهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن سبهم وان الله تعالى غفر لهم واخبر بالرضى عنهم. هذامع ما ورد من الاخبار من طرق مختلفة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان طلحة شهيد يمشى على وجه الارض فلو كان ماخرج اليه من الحرب عصيانا (١) لم يكن بالقتل فيه شهيدا لان الشهادة لاتكون الابالقتل فى الطاعة. ومما يدل على ذلـك ما قد صح بان قاتـل الزبير فى النار وقوله عليه السلام: بشر قاتل ابن صفية بالنار واذا كان كذلك فقد ثبت ان طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمين بالقتال وقد سئل بعضهم عن الدماء التى أريقت بينهم فقال تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون (٢)

وقال التفتازانى: يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم وحمل مايوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتاويلات سيما المها جرين والانصار واهل بيعة الرضوان ومن شهد بدرا وأحدا والحديبية فقد انعقد على علوشانهم الإجماع وشهدت بذالك الآيات الصراح والاحاديث الصحاح وتفاصيلها في كتب الحديث والسير والمناقب ولقد امر النبي ﷺ بتعظيمهم وكف اللسان عن الطعن فيهم.

---

(١) هذا التعبير غير محرر فان طلحة والزبير لم يخرجا الى حرب على قطعا وانما خرجا اما للاصلاح بين الناس او للاقتصاص من قتلة عثمان كما سيأتى بيانه وما وقع من الحرب كان فلتة بدون قصد من الفريقين (٢) تفسير القرطبى ١٦ــ ٣٢٢

حيث قال :اكرموا اصحابي فانهم خيار كم وقال لاتسبوا اصحابي الحديث وقال:اللهالله في اصحابي الحديث [1]

وقال ابن حجر الهيثمي ويجب الإمساك عما شجر أي وقع بينهم صفحا عن اخبار المؤرخين سيما جهلة الروافض والمبتدعين القادحين فى احد منهم فقد قال ﷺ: إذا ذكر اصحابى فامسكوا والواجب على كل من سمع شيئا من ذلك أن يتثبت فيه ولاينسبه إلى احد منهم بمجرد رؤيته فى كتاب او سماعه من شخص بل لابد أن يبحث عنه حتى يصح عنده نسبته إلى احدهم .فحينئذ الواجب أن يلتمس لهم احسن التأويلات وأصوب المخارج إذهم اهل لذلك كما هو مشهور فى منا قبهم ومعدود من مآثرهم مما يطول إيراده وما وقع من المنازعات والمحاربات فله محامل وتاويلات واماسبهم والطعن فيهم فإن خالف دليلا قطعيا كقذف عائشة رضى الله عنها وإنكار صحبة أبيها كان كفرا وإن كان بخلاف ذلك كان بدعة وفسقا (٢)

ونتعجل هنا بذكر محامل ووجهات ما جرى بينهم من المناز عات والمشا جرات ونرى أن خير ما نثبته هنا ما قاله الشيخ محي الدين النووي في ذلك حيث قال

واما عثمان رضي الله عنه فخلا فته صحيحة بالإجماع وقتل مظلوما وقتلته فسقة لان موجبات القتل مضبوطة ولم يجر منه رضي الله عنه ما يقتضيه ولم يشارك في قتله احد من الصحابة وانما

---

(١) شرح المقاصد ٢ــ ٣٠٣

(٢) الصواعق المحرقة ٢١٤

قتلته همج ورعاع من غوغاء القبائل وسفلة الأطراف والأراذل تحزبوا . وقصدوه من مصر فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحصروه حتي قتلوه رضي الله عنه

واما علي رضي الله تعا لي عنه فخلافته صحيحة بالإجماع وكان هو الخليفة في وقته لا خلافة لغيره

وأما معاوية رضي الله تعا لي عنه فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء

وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب انفسها بسببها وكلهم عدول رضي الله تعا لي عنهم ومتأولون في حروبهم وغيرها ولا يخرج شيء من ذلك احدا منهم عن العدالة لانهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص احد منهم

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضا يا كانت مشتبهة فلشدة اشتبا هها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة اقسام

قسم ظهر لهم با لاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده

وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه

وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح احد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لانه لا يحل الإقدام على قتال المسلم حتى يظهر انه مستحق لذلك ولوظهر لهؤلاء رجحان احد الطرفين وأن الحق معه لما جاز له التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه

فكلهم معذورون رضي الله تعا لي عنهم ولهذا اتفق اهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضى الله تعا لى عنهم اجمعين (١)

---

(١) شرح النووى على مسلم ــ ج ــ ١٥ ص ١٤٩

امورهامة لابد من التنبيه عليها

مما ينبغى التنبيه عليه فى هذا المقام عدة أمورهامة قررها الأئمة الأعلام والمحققون من مشايخ الإسلام نسير على ضوئها فى هذا الكتاب: نوردها فى الفقرات التالية

١ــ الذى أطبق عليه الأئمة الفقهاء والأصوليون والحفاظ أن الحديث الضعيف حجة فى المناقب كما أنه حجة فى فضائل الأعمال وأنه لايقبل فى الجرح والمثالب الإالحديث الصحيح السليم من الطعن والقدح

٢ــ أن الصحابة كلهم عدول بتعديل الله ورسوله وأئمة الإسلام لهم وكل ما عارض ذلك مما يوجب القدح فيهم والجرح فى عدالتهم يجب رده إن لم يثبت بطريق صحيح وهو الكثير منه ويجب تأويله وحمله على محامل حسنة تتفق مع عدالتهم الثابتة إن ثبت بطريق صحيح وهو القليل النادر

وهذه القاعدة التى قررها الأئمة المحققون يجب أن تجعل دستورا يفزع إليه الباحث فى كل ما يعرض له مما فيه دخل على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليهم وسلم وأن يجعلها نصب عينيه والاضل وغوى وتورط فى مهواة الوقوع فى أعراض خيار الأمة وباء يغضب من الله ورسوله

٣ــ قرر المحققون من علماء الجرح والتعديل: أن من ثبتت امامته

وعدالته وكثرمادحوه ومزكوه وندرجارحه وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبى أوغيره فإنا لانلتفت إلى الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالة. فمثلا لايقبل قول ابن معين فى الشافعى ولو فسر وأتى بألف إيضاح لقيام الدليل القاطع على أنه غير محق بالنسبة اليه(١) فاذا كان هذا فى حق علماء الامة فكيف باصحاب رسول الله ﷺ

٤ـــ أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ليسوا بمعصومين من الاثام فان العصمة لاتجب لاحد من اصحاب رسول الله ﷺ ولاتجب لأحد عند اهل السنة إلا للأنبياء عليهم افضل الصلاة واكمل السلام وانما هم محفوظون عن أن تجرح الذنوب فى عدالتهم الثابتة فاذا بدرت منهم هفوة بمقتضى البشرية وان كانت من الكبائرـــ كما ثبت تلبس بعض منهم ببعض الكبائر فى بعض الأحاديث الصحيحةـــ بادروا الى الإقلاع عنها والتوبة عن تلك الزلة وتلا فيها بالانقياد لأقامة الحد عليهم وبمحاسبة النفس وتقريعها والأستكثار من الأعمال الصالحة والأزدياد منها حتى أن الزلة منهم تكون سببا لعلودرجاتهم ورفعة مقاماتهم عند الله تعالى

قال تقى الدين ابن تيمية ونشهد أن الواحد منهم اذا أذنب ذنبا فان الله لايعذبه فى الأخرة ويدخله الجنة وعقوبة الأخرة تزول عنه إما بالتوبة منه وإما بحسناته الكثيرة وإما بمصائبه المكفرة وإما بدعاء

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لتاج الدين السبكى ــ ١ــ ١٨٨ الى ١٩٧

النبى ﷺ لهم فى حياته وبعد مماته وإما بدعاء المؤمنين لهم فان المسلمين ما يزالون يدعون لهم الى غير ذلك من مكفرات الذنوب (١) وكلام ابن تيمية هذا يوافق ما تقدم عن ابن حزم

٥ـــ يجب على كل احد الغض عن عيوب المسلمين وطلب المعاذير لهم وتحسين الظن بهم ويحرم عليه تتبع عوراتهم وتقصى زلاتهم وذكرهم بما يسوؤهم وتنقيصهم وإن كان بما فيهم فاذا كان هذا فى حق آحاد الأمة فكيف باصحاب رسول الله ﷺ وقد قال الله تعالى فيما يرويه عنه النبى ﷺ ﴿من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب﴾ رواه البخارى

٦ـــ أن جل ماثبت عن الصحابة بطريق صحيح مما يوهم القدح فى عدا لتهم إنما صدر عنهم بتأول واجتهاد وهم مأجورون عليه

٧ـــ قال ابو العباس ابن تيمية: اكثرالمنقول من المثالب والمطاعن فى الصحابة كذب إما كذب كله وإما محرف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرجه الى الذم والطعن يرويها الكذابون المعرو فون بالكذب مثل أبى مخنف لوط بن يحيى ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبى (٢) وامثا لهم من الكذابين والكلبى من أكذب الناس وهو شيعى يروى عن أبيه وعن أبى مخنف وكلا هما متروك كذاب. ثم نقل كلام علماء الجرح والتعديل فى الكلبى واطبا قهم على وصفه

---

(١) منهاج السنة بتصرف ٣ـــ ١٧٩

(٢) ولهشام كتاب فى مثالب الصحابة ولأبى مخنف مؤلف فى وقعة صفين

بالكذب وسقوط الرواية (١)

واما أبو مخنف فقد قال ابن كثير: إنه شيعى ضعيف الحديث عند الأمة(٢) وقال: هو متهم فيما يرويه لاسيما فى باب التشيع (٣) وقال الحافظ الذهبى ابو مخنف اخبارى تالف لايوثق به تركه أبوحاتم وغيره (٤) وقال الفتنى لوط بن يحيى كذاب (٥) وقال ابن عراق: لوط بن يحيى أبو مخنف كذاب تالف (٦)

٨ـــ عد العلماء من امارات وضع الحديث أن يكون مخالفا للنصوص الصحيحة او القواعد المقررة بحيث لايمكن الجمع بينه وبينها وكذا عدوا من علامات وضعه أن يكون الراوى رافضيا والحديث فى مناقب اهل البيت أو فى مثالب من حاربهم

٩ـــ أن أحدا من المؤرخين لم يلتزم الصحة فى كل ما ينقله ويرويه ولم يذكر احد منهم ما يذكره على انها كلها حقائق تاريخية سليمة من الطعن والقدح وإنما المؤرخون ثلاث طوائف

١ـــ طائفة اعتقدت أن التدين والتقرب إلى الله لايتم إلا بإنشاء أحاديث فيها استحقار للصحابة والسلف والاستخفاف بهم وبالاسترسال فى اختراع الأقوال والأفعال عنهم من اضراب أبى مخنف والكلبى ويلحق بهم المسعودى صاحب مروج الذهب فى التاريخ فقد

---

(١) منهاج السنة ٣ ـــ ١٧٩ ـــ (٢) البداية والنهاية ٨ ـــ ٢٠٢

(٣) البداية والنهاية ٨ ـــ٢٧٤ (٤) تعليقات محب الدين الخطيب على العواصم من القواصم ٦٣ (٥) قانون الموضوعات ٢٨٦ (٦) تنزية الشريعة ـــ ١ ـــ ٩٨

قال القاضى أبو بكر بن العربى: أما المبتدع المحتال فالمسعودى فانه ياتى منه متاخمة الالحاد فيما يرويه من ذلك واما البدعة فلاشك فيه (١) وبد عته كل من التشيع والاعتزال

ومن هذا القبيل كل ما يكتبه الروافض عن تاريخ الصحابة رضى الله عنهم وكذا ما يكتبه المستشرقون عن تاريخ الإسلام وعن الإسلام عامة وما يكتبه اذناب المستشرقين الذين كل همهم إرضاء قلوبهم من المستغربين من امثال حسين هيكل واحمد أمين وفريد وجدى فليكن المسلم على حذر من هذه الكتب

٢ــ وطائفة من اهل الإنصاف والامانة وجلالة العلم ومتانة الديانة كالامام المجتهد صاحب المذهب المنقرض سيد المفسرين والمؤرخين أبى جعفر ابن جرير الطبرى وكالحا فظ الكبير المبرز ابن عساكر وكا لحافظ ابن كثير رات أن من الإنصاف والأ ما نة أن تجمع أخبار الإخباريين من كل المذاهب والمشارب وقد اثبتت هذه الطائفة في اكثر الروايات إن لم نقل فى كلها أسماء رواتها ليكون الباحث على بصيرة من كل خبر با لبحث عن حال رواته ويكون النقد فى متناول اليد ورأوا أنهم قدخرجوا بذلك عن العهدة فقد كان الحفاظ المتقدمون يعدون ذكر السند بيانا لحال الخبر ومغنيا عنه إذ كان علم الإسناد يعيش فيهم على أتم وجه وقد صرح هؤلاء بأ نهم لم يلتزموا الصحة كما تقدم عن ابن كثيرفي أبى مخنف مع كثرة روايته عنه وقال الطبرى فيى آخر مقدمة تاريخه فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن

(١) العواصم من القواصم ٢٤٩ ــ

الماضين مما يستنكره قارئه ويستشنعه سامعه من اجل أنه لم يعرف له وجها فى الصحة ولا معنى فى الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا وانما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا(١)وقال إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج(٢)

ومن ثمة نرى تكرر أسماء أبى مخنف والكلبى واضرابهم على صفحات هذه التواريخ وربما نبه بعض هؤلاء على حال الأخبار صحة وضعفا ووضعا ولابن كثير حظ وافر من هذا

وقد وصلت إلينا هذه التركة لا على انها تاريخنا بل على انها مادة غزيرة للدرس والبحث ينخل منها تاريخنا

قال الحافظ ابن حجر إن الحفاظ الأقدمين يعتمدون فى روايتهم الأحاديث الموضوعة مع سكوتهم عنها على ذكر الأسانيد لاعتقادهم أنهم متى أوردوا الحديث بإسناده فقد برءوا من عهدته واسندوا امره الى النظر فى اسناده(٣)

وما احسن ما قاله محب الدين الخطيب: إن مثل الطبرى ومن فى طبقته من العلماء الثقاة المتثبتين فى إيرادهم الاخبار الضعيفة كمثل رجال القضاء الآن إذا ارادو أن يبحثوا فى قضية فانهم يجمعون كل ما تصل إليه ايديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه اعتمادا منهم على أن كل شيء سيقدر قدره

وهكذا الطبرى وكبار حملة الأخبار من سلفنا كانوا لايفرطون في خبر مهما علموا من ضعف ناقله خشية أن يفوتهم باهماله شيء من

---

(١) الطبرى ١ ـــ ٥ ـــ (٢) الطبرى ـــ ١ـــ ٤ (٣) لسان الميزان ٣ ـــ ٧٥

العلم ولو من بعض النواحي الا انهم يوردون كل خبر معزوا الى راويه ليعرف القارىء قوة الخبر من كون رواته ثقاتا أو ضعافا لايوثق بهم وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة ووضعوا بين ايدى القراء كل ماوصلت اليهم ايديهم (١)

وكذلك صنع قدامى المفسرين قال العلامة محمد زاهد الكوثرى ترى كثيرا من المفسرين دونوا ما يظنون أن به نفعا لتبيين بعض النواحي فى انباء القران الحكيم من معارف عصرهم المتوارثة من اليهود وغيرهم تاركين امر غربلتها لمن بعدهم من النقاد حرصا على إيصال تلك المعارف إلى من بعدهم لاحتمال أن يكون فيها بعض فائدة فى إيضاح بعض ما أجمل من الانباء فى القرآن الحكيم لا لتكون تلك الروايات حقائق فى نظر المسلمين يراد اعتقاد صحتها والاخذ بها على علاتها بدون تمحيص (٢)

قال السخاوي: لا يبرأ من العهدة فى هذه الأعصار بالاقتصار على الإسناد بذلك لعدم الامن من المحذور به وإن صنعه اكثر المحدثين فى الأعصار الماضية من سنة مأتين وهلم جرا فانهم إذا ساقوا الحديث باسناده اعتقدوا انهم برؤا من العهدة قال شيخنا ــ العسقلانى ــ وكان ذكر الإسناد عندهم من جملة البيان (٣)

٣ــ وطائفة ثالثة اخذت من هذه وتلك بدون تكلف عناء بحث وتحقيق ولا تجشم معاناة تمحيص وتدقيق وخلطت الغث بالسمين

ــ (١) مجلة الازهر ٢٤ ــ ٢١٤ ــ (٢) مقالات الكوثرى ٣٤ ــ
(٣) شرح الفية العراقى ١٠٦

وقطعت الأخبار عن أسانيدها وذكرتها كأنها حقائق تاريخية وربما فرعت عليها التفريعات وبنت عليها الأحكام ولبّست الأمر بهذا الصنيع على الناس حتى على أجلاء العلماء حتى أن كثيرا من المختلقات التى ليس لها نصيب من الصحة قد تحولت بين الناس من اجل صنيعهم هذا حتى فى الأوساط العلمية إلى مسلمات لاتحتمل النقاش

ولعل هذه الطائفة كانوا يرون المبرر لاستروا حهم هذا ان مفاد هذه الاخبار احداث تاريخية من حقها التساهل فيها ولاتحتاج الى التشدد فى النقد مثل أحاديث الأحكام وهم على حق فى هذه الملاحظة لكن لا على طول الخط بل مادامت هذه الأخبار لامساس لها بالعقيدة الإسلامية ولاصلة لها بالأحكام الشرعية أما اذا كان لها ادنى علاقة باحد هذين الأمرين ولاسيما إذا أصابت العقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية فى صميمها بتشويه سيرة الرعيل الأول من حملة الشرع ونقلة الإسلام الينا اصحاب محمد ﷺ والتابعين لهم بإحسان فيجب أن توضع تحت النقد الشديد. وتحك بالمحك الذى تفردبه علماء الإسلام فى علم مصطلح الحديث

وبعض هذه الطائفة أقل من إدراج الموضوعات فى كتابه وبعضها اكثرمنه

ومن الذين لهم مشاركة فى هذا النوع من الاخذ ابو الفداء فى المختصر فى أخبار البشر والسيوطى فى تاريخ الخلفاء وعبد الوهاب النجار فى كتابه الخلفاء الراشدون والشبلنجى فى نور الابصاروهومحشو بالروا يات الموضوعة والأقوال المختلقة

وللعلامة المحقق ابن خلدون فى تاريخه على ما أجاد فيه من الجمع والتلخيص والاختصار وما إمتاز به من ربط الأحداث باسبابها وتحويل التاريخ بهذا الصنيع الى نوع من الفلسفة ـ له ايضا مشاركة فى هذا النوع من الاخذ

١٠ــ هناك كتب قديمة وحديثة محشوة بالأقوال المكذوبة والروايات المختلقة يتشكك الباحث الثقف النبيه فى امرها هل هى من النوع الاول أم من النوع الثالث

فمن الكتب القديمة كتاب الإمامة والسياسة. المنسوب لابن قتيبة فقد أنكر عليه المحققون صنيعه فيه وشنعوا عليه اشد تشنيع فممن شنع عليه ابن حجر الهيثمى فى تطهير الجنان (١) والقاضى ابوبكر ابن العربى فى العواصم من القواصم حيث قال:ومن اشد شىء على الناس جاهل عاقل اومبتدع محتال. فاما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما فى كتاب الإمامة والسياسة أن صح عنه جميع ما فيه (٢)

ويلاحظ أن القاضى أبابكر متشكك فى نسبة جميع ما فى هذا الكتاب الى ابن قتيبة وذلك لأن جلالة ابن قتيبة قاضية بالتشكك فى هذا الامر

وقد أدعى الشيخ محب الدين الخطيب أنه ليس من تاليفه وأنه مدسوس عليه من خبيث صاحب هوى وبرهن على ذلك بأمرين

---

(١) تطهير الجنان ــ ٤٣ ــ (٢) العواصم ٢٤٨ ــ

١ــ أنه ذكرت فيه أمور وقعت بعد موت ابن قتيبة

٢ــ أن مؤلفه يروى كثيرا عن اثنين من كبار علماء مصر وابن قتيبة لم يدخل مصر ولاأخذ عن هذين العالمين فدل ذلك على ان الكتاب مدسوس عليه(١)

واما الكتب الحديثة فكثيرة نخص منها بالذكر كتاب. تاريخ صدر الإسلام والدولة الاموية ــ لعمر فروخ فقد تصور الاحداث والمشاجرات الجارية بين الصحابة مثل الاحداث والمشاجرات الجارية بينه وبين بنى قومه فى كونها من اجل التغالب على الملك والثروة والاستعمار ومبنية على الكذب والخداع والتزوير وقاس الملوك بالزبالين وصاغها كما تصورها صياغة ادبية خلابة واعتمد فى هذا الصنيع على الاخبار المكذوبة والروايات المختلقة التى حشى بها امثال كتاب الامامة والسياسة

١١ــ واخيرا الذى اوصى به المحققون ان لايقنع الباحث لشىء مما يراه فى كتب التواريخ الإ إن رآه فى كلام حافظ وقدبين سنده وحاله أو نقله عنه ثقة،وبالجملة على قارىء كتب التاريخ أن يكون على غاية من الحذر والتيقظ .

---

(١) التعليقات على العواصم من القواصم ــ ٢٤٥ و ٢٤٨

خاتمة المقدمة

اعلم انه قد يستشكل ماتقدم من عدالة جميع الصحابة بدون استثناء بالحديث الذى رواه الشيخان وغيرهما عن النبى ﷺ قال: ﴿إنه سيجاء برجال من أُمتى فيؤخذبهم ذات الشمال(١) فاقول يارب اصحابى. فيقول الله إنك لاتدرى ما احدثوا بعدك. فاقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شىء شهيد* إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم*(٢)قال: فيقال: انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم﴾ وفى بعض الروايات. فاقول: بعدا لهم وسحقا.

وقد تكلم على هذا الحديث العلماء بما يزيح الاشكال ويريح البال واليك صفوة ما قالوه.

قال اكثر العلماء المراد بالاصحاب من صحب النبى ﷺ كما هو الظاهر المتبادر ثم اختلفوا. فقيل هؤلاء هم الذين ارتدوا على عهد الى بكر فقاتلهم ابوبكر حتى قتلوا وماتوا على الكفر وقيل هم المنافقون. وقيل هم قوم من جفاة الأعراب دخلوا فى الإسلام رغبة ورهبة. قال النووى قيل هم المنا فقون المرتدون فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل

---

(١) اى يذادون عن الحوض يوم القيامة ويذهب بهم ذات الشمال وهى جهة النار (٢) المائدة ١١٧ — ١١٨ —

لكونهم من جملة الأمة فيناديهم من اجل السيما التى عليهم فيقال إنهم بدلوا بعدك أي لم يموتوا على ظاهر ما فارقتهم عليه. قال القاضى عياض وغيره وعلى هذا فيذهب عنهم الغرة والتحجيل ويطفأ نورهم. وقيل لايلزم ان يكون عليهم السيما بل يناديهم لما كان يعرف من إسلامهم

وقيل المراد بالأصحاب الأمة وهؤلاء هم أصحاب الكبائر والبدع الذين ما توا على الاسلام وعلى هذا فلايقطع بدخول هؤلاء النار لجواز أن يذادوا عن الحوض اولاعقوبة لهم ثم يرحموا ولايمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل فعرفهم بالسيما واستبعد هذا القول بانه لايقال للمسلم ولو كان من اصحاب الكبائر اومبتدعا سحقا. واجيب بانه لايمتنع أن يقال ذلك لمن علم أنه قضى عليه بالتعذيب على المعصية ثم ينجو بالشفاعة فيكون قوله سحقا تسليما لأمر الله مع بقاء الرجاء(١)

---

(١) ملخص من فتح البارى ١١ ــ ٣٢٤ المطبعة البهية

الفصل الاول فى خليفة رسول اللّٰه ابى بكر الصديق

فضائل ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

١ــ عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: ﴿إن من آمن الناس على فى صحبته وماله ابابكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابابكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته لاتبقين فى المسجد خوخة الاخوخة ابى بكر﴾ متفق عليه

٢ــ عن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه قال قلت لرسول الله ﷺ اي الناس احب اليك قال: عائشة. قلت من الرجال قال: ابوها. قلت ثم من قال: عمر. فعد رجالا فسكت مخافة ان يجعلنى فى آخرهم متفق عليه

٣ــ عن ابى هريرة عن النبى ﷺ قال: ﴿أما إنك ياابابكر أول من يدخل الجنة من أمتى.﴾ رواه ابوداود

٤ــ وعنه عن النبى ﷺ قال: ﴿ما لأحد عندنا يد الاوقد كافأناه ما خلا ابى بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله به يوم القيامة وما نفعنى مال احد قط ما نفعنى مال أبى بكر﴾ رواه الترمذى

٥ــ عن ابن عمر رضى اللـه تعالى عنه عن النبى ﷺ قال لأبى بكر ﴿انت صاحبى على الحوض وصاحبى فى الغار﴾ رواه الترمذى

٦ــ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت. دخل ابوبكر على رسول الله ﷺ فقال:انت عتيق الله. فمن يومئذ سمى عتيقا رواه الترمذى

٧ــ عن محمد بن الحنفية رضى الله تعالى عنه قال قلت لابى: اى الناس خير بعد النبى ﷺ. قال: ابوبكر. قلت ثم من قال عمر وخشيت ان يقول عثمان قلت ثم انت قال ما انا الا رجل من المسلمين رواه البخارى

٨ــ عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال: كنا فى زمن النبى ﷺ لانعدل بابى بكر احدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك اصحاب النبى ﷺ لانفاضل بينهم رواه البخارى

٩ــ عن عمر رضى الله تعالى عنه قال: امرنا رسول الله ﷺ ان نتصدق فوافق ذلك عندى مالا فقلت اليوم اسبق ابابكر ان سبقته يوما. قال: فجئت بنصف مالى فقال رسول الله ﷺ: ما أُبقيت لاهلك فقلت مثله. واتى ابوبكر بكل ما عنده فقال ياابابكر ما ابقيت لاهلك فقال: أبقيت لهم الله ورسوله قلت لااسبقه الى شىء ابدا ○ رواه الترمذى وابوداود

١٠ــ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قبض رسول الله ﷺ فارتدت العرب واشرأب (١) النفاق فنزل بابى ما لونزل بالجبال

---

(١) اى ارتفع وعلى يقال اشرأب له واليه اشرئبا مدعنقه او ارتفع لينظر والهيض الكسر والإلانة يقال هاض فلان لشىء كسره وألانه والخطل المنطق الكثير الفاسد اى الا قام ابى اسرع ما يكون بتقويم فاسدها وامساك عنانها واجرائها فى مجراها الصحيح، والاحوذى القائم بالامور على وجه السداد، ويقال هو نسيج وحده وهو مدح اى لا ثانى له وكذلك قريع وحده اى لا يقارعه فى الفضل احد ــ

الراسيات لها ضها قالت. فما اختلفوا فى نقطة الاطارابى بخطلها وعنانها. ثم ذكرت عمر بن الخطاب فقالت: كان والله احوذيا نسيج وحده قد اعد للامور اقرانها ○ قال الهيثمى رواه الطبرانى بطرق رجال احدها ثقات

١١ــ عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة: خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر ○ قال ابن تيمية هذا القول متواتر عنه كرم الله وجهه روى عنه من اكثر من ثمانين وجها(١)

النصوص المصرحة بخلافة الصديق والمشيرة اليها

١ــعن عائشة رضى الله تعا لى عنها قالت قال لى رسول الله ﷺ فى مرضه ﴿ادعى لي ابا بكر اباك واخاك حتى اكتب كتابا فإنى اخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل انا اولى ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر ★ رواه الشيخان

٢ــ عن جبير بن مطعم رضى الله تعا لى عنه قال:اتت امرأة الى النبى ﷺ فا مرها ان ترجع اليه فقالت أرأيت ان جئت و لم اجدك ــ كأنها تعنى الموت ــ قال :إن لم تجدينى فأتى ابا بكر ★متفق عليه

(١) منهاج السنة

٣ــ عن أبي موسى الاشعرى قال مرض النبى ﷺ فاشتد مرضه فقال : مروا ابابكر فليصل با لناس قالت عائشة يا رسول الله انه رجل رقيق اذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى با لناس فقال :مروا ابا بكر فليصل با لناس فعادت فقال: مرى ابا بكر فليصل با لناس فانكن صواحب يوسف. فاتاه الرسول فصلى با لناس فى حياة رسول الله ﷺ * متفق عليه وهو من الاحاديث المتواترة

٤ــ عن عائشة رضى الله تعا لى عنها عن النبى ﷺ قال ﴿ لا ينبغى لقوم فيهم ابو بكر ان يؤمهم غيره ﴾ رواه الترمذى

٥ــ عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ (اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر)رواه احمد وحسنه وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه

٦ــ عن انس قال :بعثنى بنوا المصطلق الى رسول الله ﷺ أن سله الى من ندفع صدقاتنا بعدك فا تيته فسألته فقال : الى ابى بكر * رواه الحاكم وصححه

٧ــ عن سفينة لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع فى البناء حجرا فقال لأبى بكر :ضع حجرك الى جنب حجرى . ثم قال لعمر : ضع حجرك الى جنب حجر ابى بكر . ثم قال لعثمان : ضع حجرك الى جنب حجر عمر . ثم قال : هؤلاء الخلفاء من بعدى * رواه ابن حبان باسناد قال ابو زرعة لا بأس به ورواه الحاكم وصححه والبيهقى

٨ــ عن ابن عمر رضى الله تعا لي عنهما أن النبى ﷺ قال

﴿رأيت كأنى انزع بدلو بكرة (١) على قليب فجاء ابو بكر فنزع ذنوبا اوذنوبين نزعا ضعيفا والله يغفر له ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غربا فلم ار عبقريا يفرى فريه حتى روىٰ الناس وضربوا بعطن﴾ متفق عليه

هل نص النبى ﷺ على خلافة الصديق

اعلم انهم اختلفوا فى ذلك ومن تامل الأحاديث التى قدمناها علم من اكثرها انه ﷺ نص عليها نصا ظاهرا وعلى ذلك جماعة من المحدثين.

وقال جمهور اهل السنة والمعتزلة والخوارج لم ينص على احد ويؤيده ما رواه البخارى ان النبى ﷺ لما مرض قال العباس لعلى: انى ارى الموت فى وجوه بنى عبد المطلب فتعال حتى نسأل رسول الله ﷺ فان كان هذا الامر فينا علمناه فقال على انا والله لأن سألناه رسول الله ﷺ فمنعناها لايعطيناها الناس بعده. وانى والله لاأسألها

---

(١) بدلو بكرة بالاضافة لادنى ملابسة والبكرة بسكون الكاف الحلقة المسديرة التى يوضع عليها الحبل ليسهل النزع. القليب البئر التى لم يطو. والغرب الدلو العظيم. والعبقرى الرجل القوى الشديد. والفرى العمل. والعطن ما تناج فيه الابل بعد ان رويتـ

رسول الله ﷺ (١) وما اخرجه البزار فى مسنده عن حذيفة قال قالوا يارسول الله ﷺ الا تستخلف علينا قال: ﴿انى ان استخلفت عليكم فتعصون خليفتى ينزل عليكم العذاب﴾ واخرجه الحاكم فى المستدرك لكن فى سنده ضعف. وما اخرجه الشيخان عن عمر انه قال حين طعن «ان استخلف فقد استخلف من هو خيرمني يعنى ابابكر— وان اترككم فقد ترككم من هو خيرمني يعنى رسول الله ﷺ» الى غيرذلك من الاخبار الدالة على عدم الاستخلاف.

ونجمع بين القولين بان مراد من نفاه انه لم يوص باستخلاف احد بعينه ولم يامر به. ومراد من اثبته انه ﷺ نص على خلافته واشار اليها واخبر عنها وفرق بين الإيصاء بالاستخلاف والإخبار عن الخلافة

ويؤيد ذلك ما قاله ابن الهمام فى المسامرة ان معنى قول الاكثر لم ينص عليها لم يامربها لاحد ولكن كان يعلمها باعلام الله تعالى اياه(٢)

وكذا ما قاله تقى الدين بن تيمية: التحقيق ان النبى ﷺ دل المسلمين على استخلاف ابى بكر وارشدهم اليه بامور متعددة من اقواله وافعاله واخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له وعزم على ان يكتب بذلك عهدا ثم علم ان المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك ثم عزم على ذلك فى مرضه يوم الخميس ثم لما حصل لبعضهم شك هل ذلك القول من جهة المرض او هو قول يجب اتباعه

---

(١) قال القاضى ابن العربى وهذا الحديث يبطل قول مدعى الاشارة باستخلاف على فكيف ان يدعى فيه بالنص — العواصم ١٨٧ — (٢) المسامرة ٢٥٥

ترك الكتابة اكتفاء بما علم ان الله تعالى يختاره والمؤمنون من خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه فلو كان التعيين مما يشتبه على الامة لبينه ﷺ بيانا قاطعا للعذر (١)

كيفية خلافة الصديق رضى الله عنه وما اكتنفها من اعماله المجيدة

وقد اجاد القاضى ابو بكر بن العربى فى اجمال هذه الامور فآثرنا ان نثبت كلامه هنا

قال رحمه الله: بعد ان استاثر الله نبيه ﷺ وقد اكمل له ولنا دينه كما قال: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا﴾ وما من شىء فى الدنيا يكمل إلا وجاءه النقص ليكون الكمال الذى يراد به وجه الله خاصة وذلك العمل الصالح والدار الآخرة فهى دار الله الكاملة. قال انس. ما نفضنا ايدينامن تراب قبر رسول الله ﷺ حتى انكرنا قلوبنا. (٢) واضطربت الحال.

ثم تدارك الله الإسلام ببيعة أبى بكر فكان موت النبى ﷺ قاصمة الظهر ومصيبة العمر. فاما على فاستخفى فى بيته مع فاطمة رضى الله

---

(١) منهاج السنة ١ ١٣٩ — (٢) انظر البداية والنهاية ٥ — ٣٧٣ — ٣٧٤

عنهما(١) واماعثمان فسكت واما عمر فاهجر وقال: مامات رسول الله ﷺ وانما واعده الله كما واعد موسى وليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن ايدى اناس وارجلهم. وتعلق بال العباس وعلى بامر انفسهما فى مرض النبى ﷺ فقال العباس لعلى: انى ارى الموت فى وجوه بنى عبد المطلب. الحديث

وتعلق بال العباس وعلى بميرا ثهما فيما تركه النبى ﷺ من فدك وبنى النضير وخيبر

واضطرب امر الانصار يطلبون الامر لانفسهم اوالشركة فيه مع المها جرين

وانقطعت قلوب الجيش الذى كان قدبرز مع اسامة بن زيد بالجرف.

فتدارك الله الاسلام والانام وانجابت الغمة انجياب الغمام ونفذ وعد الله باستئثار رسول الله ﷺ واقامة دينه على التمام وان كان قد اصاب ما اصاب من الرزية الاسلام بابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وكان اذ مات النبى ﷺ غائبا فى ما له بالسنح فجاء الى منزل ابنته عائشة وفيه مات النبى ﷺ فكشف عن وجهه واكب عليه يقبله وقال: بابى انت وامى يارسول الله طبت حيا وميتا والله لايجمع عليك المو تتين اما الموتة التى كتب الله عليك فقد متها

(١) لما وجدت فاطمة على ابى بكر لما منعها ميراثهامن مخلف النبى ﷺ ويحتمل ان يكون مراده ما كان من على والزبير من تخلفهما عن الذهاب الى المسجد للبيعة العامة حتى ارسل اليهما ابو بكر فجاءآ فبايعا كما سياتى

ثم خرج الى المسجد والناس فيه وعمر ياتى بهجر من الكلام كما قدمنا. فرقى المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال: اما بعد ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد الله فان الله تعالى حي لايموت ثم قرأ: ﴿وما محمد إلارسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين﴾ (١) فخرج الناس يتلونها فى سكك المدينة كانها لم تنزل الاذلك اليوم

واجتمعت الانصار فى سقيفة بنى ساعدة يتشاورون ولايدرون ما يفعلون وبلغ ذلكم المها جر ين فقالوا نرسل اليهم ياتوننا فقال ابوبكر بل نمشى اليهم فسار اليهم المها جرون منهم ابوبكر وعمر وابو عبيدة فترا جعوا الكلام فقال بعض الانصار منا امير ومنكم امير فقال ابوبكر كلاما كثيرا مصيبا يكثر ويصيب. منه: نحن الامراء وانتم الوزراء ان رسول الله ﷺ قال: ﴿الأئمة من قريش﴾ (٢) وقال ﴿اوصيكم بالأنصار خيرا أن تقبلوا من محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم ﴾(٣)

---

(١) ال عمران ١٤٤

(٢) رواه الطيالسى واحمد وروى البخارى أن هذا الامر فى قريش لايعاديهم احد الا كبه الله على وجهه — (٣) رواه البخارى

ان الله تعا لى سمانا الصادقين وسماكم المفلحين (١) وقد امركم ان تكونوا معنا حيث ما كنا فقال(ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)(٢) الى غير ذلك من الاقوال المصيبة والادلة القوية فتذكر الانصار ذلك وانقادت اليه وبايعوا ابا بكر الصـــديق رضـــى الله عنــه .

وقال ابوبكر لاسامة : انفذلامر رسول الله ﷺ فقال عمر : كيف ترسل هذا الجيش والعرب قداضطربت عليك فقال : لو لعبت الكلاب بخلاخل نساء المدينة ما رددت جيشا انفذه رسول الله ﷺ

وقال له عمر وغيره اذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم فقال : والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة قيل : ومع من تقاتل قال وحدى حتى تنفرد سالفتى (٣)

وقدم الامراء على الاجناد والعمال فى البلاد واختار لهم مرتأيا فيهم فكان ذلك من اسد اعماله وافضل ما قدمه للإسلام

---

(١) فى سورة الحشر فى قوله تعالى «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى أنفسهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » (٢) التوبة ١١٩

(٣) السالفة صفحة العنق وهما سالفتان من جانبيه ولا تنفرد احداهما عما يليها الا بالموت ـ

وقال لفاطمة وعلى والعباس ان رسول الله ﷺ قال: ﴿لانورث ماتركناه صدقة﴾ (١) فذكر الصحابة ذلك

وقال سمعته يقول: ﴿لايدفن نبى الاحيث يموت﴾ (٢) وهو فى ذلك كله رابط الجأش (٣) ثابت العلم والقدم فى الدين. انتهى كلام القاضى (٤)

وروى ابن اسحاق عن الزهرى عن انس: ان ابا بكر لما بويع فى السقيفة جلس الغد على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ان الله قد جمع امركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثانى اثنين اذهما فى الغار فقوموا فبايعوا فبايع الناس بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم ابو بكر فحمد الله واثنى عليه ثم قال:

«اما بعد ايها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينونى وان اسأت فقومونى الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى اريح عليه حقه ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله. لايدع قوم الجهاد فى سبيل الله الاضربهم الله تعالى بالذل. ولاتشيع الفاحشة فى قوم قط الا عمهم الله بالبلاء. اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم. قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله» قال ابن كثير اسناد هذا الخبر صحيح (٥)

---

(١) رواه البخـــارى.

(٢) رواه مالك والترمذى وابن ماجه وقال ابن عبد البر صحيح من وجوه

(٣) يقال ربط جاشه يربط رباطة اشتد قلبه فلم يفزع عند الفزع

(٤) العواصم ٣٧ و ٥١ ــ (٥) البداية والنهاية ٥ ــ ٢٤٨

انعقاد الاجماع على خلافة الصديق

اخرج البيهقى عن الزعفرانى قال: سمعت الشافعى يقول اجمع الناس على خلافة ابى بكر وذلك انه اضطرب الناس بعد رسول الله ﷺ فلم يجدوا تحت اديم السماء خيرا من ابى بكر فولوه رقابهم(١)

بيعة على للصديق رضى الله تعالى عنهما

قد تعارضت الروايات فى بيعة على كرم الله وجهه هل تأخرت الى ما بعد وفاة فاطمة رضى الله تعالى عنها ام كانت فى اول الامر

فمما يصرح بتأخرها ما رواه البخار ى عن عائشة رضى الله تعالى عنها: «ان فاطمة ارسلت الى ابى بكر تسأله عن ميراثها من النبى ﷺ مما افاء الله على رسوله من المدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر. فقال ابوبكر: ان رسول الله ﷺ قال: ﴿لانورث ما تركناه صدقة انما ياكل آل محمد من هذا المال﴾ وانى والله لاغير شيئا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله ﷺ فابى ابوبكر ان يدفع الى فاطمة منها شيئا فوجدت فاطمة على ابى بكر فى ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبى ﷺ ستة اشهر. فلما توفيت دفنها زوجها على ليلا و لم يؤذن بها ابابكر

(١) الصواعق ـــ

وصلى عليها وكان لعلى من الناس وجه حياة فاطمة فلما توفيت استنكر على وجوه الناس فالتمس مصالحة ابى بكر ومبا يعته و لم يكن بايع تلك الاشهر فارسل الى ابى بكر ان أئتنا والا ياتينا معك احد كراهية أن يحضر عمر فقال عمر لا والله ما تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر: وما عسيتهم ان يفعلوا بى؟ والله لآتينهم فدخل عليهم ابوبكر فتشهد على: فقال انا قدعر فنا فضلك وما اعطاك الله و لم ننفس عليك خيرا ساقه الله اليك ولكنك استبددت علينا بالامر وكنا نرى لقرا بتنا من رسول الله ﷺ انا لنا نصيبا حتى فاضت عينا ابى بكر فلما تكلم ابو بكر قال: والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله ﷺ احب الي من ان اصل قرابتى. واما الذى شجر بينى وبينكم من هذه الاموال فانى لم آل فيه عن الخير و لم اترك امرا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها الاصنعته. فقال على لابى بكر موعدك العشية للبيعة فلما صلى ابو بكر الظهر رقى المنبر فتشهد وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة وعذره بالذى اعتذر اليهم ثم استغفر وتشهد على فعظم حق ابى بكر وحدث انه لم يحمله على الذى صنع نفاسة على ابى بكر ولا انكار للذى فضله الله به ولكنا كنا نرى لنا فى هذا الامر ــ اى المشورة كما يدل عليه بقية الروايات ـ نصيبا فاستبد علينا فوجدنا فى أنفسنا فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت».

فهذا الحديث صريح فى ان بيعة على تأخرت الى ما بعد وفاة فاطمة رضى الله عنهما

ومما يصرح بانه بايع فى اول الامر ما رواه ابن سعد والحاكم والبيهقى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه: ان ابابكر بعد

ما بويع فى السقيفة صعد المنبر ونظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير فدعى به فجاء فقال قلت ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه اردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب(١) ياخليفة رسول الله فقام فبايعه ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليا فدعى به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على بنته اردت ان تشق عصا المسلمين فقال لاتثريب ياخليفة رسول الله ﷺ فبايعه(٢)

قال الحافظ ابن كثير قال ابو على الحافظ: سمعت محمد بن اسحاق بن خزيمة يقول: جائنى مسلم بن الحجاج فسألنى عن هذا الحديث فكتبته له فى رقعة وقرأته عليه فقال هذا حديث يساوى بدنة فقلت: يساوى بدنة؟ بل هذا يساوى بدرة ثم قال ـــ ابن كثير ـــ هذا حديث محفوظ صحيح الاسناد وفيه فائدة جليلة وهى مبايعة على بن ابى طالب اما فى اول يوم او فى اليوم الثانى من الوفاة وهذا حق فان عليا لم يفارق الصديق فى وقت من الاوقات ولم ينقطع فى صلاة من الصلوات خلفه وخرج معه الى ذى القصة لما خرج الصديق شاهرا سيفه يريد قتال اهل الردة(٣)

قال ابن حجر الهيثمى لكن هذا الذى روى عن ابى سعيد من عدم تاخر بيعته هو الذى صححه ابن حبان وغيره قال البيهقى: واما ما وقع فى صحيح مسلم عن ابى سعيد من تأخر بيعته هو وغيره من بنى هاشم الى موت فاطمة رضى الله عنها فضعيف فان الزهرى

---

(١) اى لاعتب ولا تقريع ـــ (٢-٣) البداية والنهاية ٥ ٢٤٩ ـــ ٦ ـــ ٣٠٢ ـــ ٧ ـــ ٢٢٦

لم يسنده وايضا فالرواية الاولى عن ابى سعيد هى الموصولة فتكون اصح انتهى ثم قال

وعليه فبينه وبين خبر البخارى المار عن عائشة تناف لكن جمع بعضهم بان عليا بايع اولا ثم انقطع عن ابى بكر لما وقع بينه وبين فاطمة رضى الله تعالى عنها ما وقع فى مخلفه ﷺ (١) ثم بعد موتها بايعه مبايعة اخرى فتوهم من ذلك بعض من لايعرف باطن الامر ان تخلفه انما هو لعدم رضاه ببيعته فاطلق ذلك من اطلق ومن ثمة اظهر على بيعته لابى بكر ثانيا بعد موتها على المنبر لازالة هذه الشبهة على انه اخرج ابن ابى داود عن ابن سيرين قال لما ابطأ على عن بيعةابى بكر لقيه ابوبكر فقال أكرهت امارتى فقال لا ولكن آليت لا ارتدى الا الى الصلاة حتى اجمع القران فزعموا انه كتبه على تنزيله (٢) فانظر الى هذا العذر الواضح منه رضى الله عنه ثم قال ابن حجر

فعلم مما قررناه اجماع الصحابة ومن بعدهم على أحقية خلافة ابى بكر وانه اهل لها وذلك كاف ولو لم يرد نص عليه بل الاجماع اقوى من النصوص التى لم تتواتر لان مفاده قطعى ومفادها ظنى وقال

ولا يقدح فى حكاية الاجماع تأخر على والزبير وطلحة والعباس ــ اي على تقدير تأخرهم ــ وذلك لامور منها انهم رأوا أن الامر تم بمن تيسر حضوره حينئذ من اهل الحل والعقد . ومنها انهم لما جاؤا

---

(١) قال ابن كثير كان ذلك منه مداراة لفاطمة ورعاية لخاطرها ــ الارقام السابقة (٢) اى على ترتيب نزوله ــ

وبايعوا اعتذروا ـــ كما ثبت عن الاولين بطرق ـــ بانهم اخروا عن المشورة مع ان لهم فيها حقا لا للقدح فى خلافة الصديق هذا مع احتياج الامر لخطره الى المشورة التامة ولهذا ثبت عن عمر بسند صحيح ان تلك البيعة كانت فلتة ولكن وقى الله شرها ثم قال

وحكى النووى باسانيد صحيحة عن سفيان الثورى : ان من قال ان عليا كان احق با لولاية فقد خطأ ابا بكر وعمر والمهاجرين والانصار وما اراه يرتفع له مع هذا عمل الى السماء واخرج الدار قطنى عن عمار بن ياسر نحوه. (١)

وجد فاطمة على الصديق وهجرها اياه رضى الله تعالى عنهما

ووجد فاطمة على الصديق رضى الله تعالى عنهما ـــ مع انه انما حججها وكذا غيرها من ازواجه وعمه ﷺ بالنص الصريح ـــ اما لانها رأت ان خبر الواحد لايخصص القران كما قيل به (٢) و لانها اعتقدت تخصيص العموم فى قوله: لانورث: ورأت ان منا فع ما خلفه من ارض وعقار لايمتنع ان يورث عنه (٣) فابوبكر معذور فى المنع لانه سمع الحديث من النبى ﷺ وحمله على عمومه وهى معذورة فى الطلب واختلا فهما فى امر محتمل للتاويل فلما صمم ابوبكر على ذلك انقطعت عن الاجتماع به

وقال الحافظ ابن كثير ان الصديق لما حججها بالحديث الذى سمعه من ابيها انقادت له وسألته ان ينظر علي فى صدقة الارض التى بخيبر

(١) الصواعق ١٢ و ١٣ و ١٤

(٢) الصواعق ٣٥ (٣) فتح البارى ٦ ـــ ١٥١ كتاب فرض الخمس

وفدك فلم يجبها الى ذلك لانه رأى ان حقا عليه ان يقوم بجميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ وهو الصادق البار الراشد التابع للحق رضى الله عنه. فحصل لها ـ وهى امرأة من البشر ليست بواجبة العصمة ـ عتب وتغضب و لم تكلم الصديق حتى ماتت واحتاج علي ان يراعى خاطرها بعض الشىء(١)

وقال الحافظ العسقلانى: روى البيهقى من طريق الشعبى ان ابابكر عاد فاطمة فقال لها على هذا ابوبكر يستأذن عليك قالت اتحب ان آذن له قال نعم فاذن له فدخل عليها فترضاها حتى رضيت. وهو مرسل الا ان اسناده الى الشعبى صحيح فان ثبت ازال الاشكال عن الهجران. واخلق بالامر ان يكون كذلك لما علم من وفور عقلها ودينها عليها السلام

موقف سعد بن عبادة من خلافة الصديق

المشهور الذى ذكره غير واحد من علماء التاريخ ان سعدا رضى الله عنه تخلف عن بيعة الصديق رضى الله تعالى عنه حتى خرج الى الشام فمات بقرية من حوران الا ان ذلك لم يثبت بطريق صحيح كما اشار اليه الحافظ العسقلانى واعتذر عنه على تقدير ثبوته حيث قال انه امتنع عن بيعة ابى بكر فيما يقال وتوجه الى الشام فمات بها والعذرله فى ذلك انه تأول ان للانصار حقا فى الخلافة استحقاقا فبنى على ذلك وهو معذور وان كان ما اعتقده من ذلك خطأ(٢) وقال

(١) البداية والنهاية ٥ ـ ٢٤٩ ـ ٦ ـ ٣٠٢ ـ ٧ ـ ٢٢٦

(٢) فتح البارى ٧ ـ ١٠٠

تقى الدين بن تيمية: تخلف عن بيعته لانهم ــ الانصارــ كانوا قدعينوه للامارة فبقى فى نفسه مايبقى فى نفوس البشر ولكن هو مع هذا رضى الله عنه لم يعارض ولم يدفع حقا ولا اعان باطلا . بل قد روى الامام احمد عن حميد بن عبد الرحمن فذكر حديث السقيفة وفيه ان الصديق قال: ولقد علمت يا سعد ان رسول الله ﷺ قال وانت قاعد: قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم (١) فقال له سعد صدقت نحن الوزراء وانتم الامراء فهذا مرسل حسن. ولعل حميدا اخذه عن بعض الصحابة الذين شهدو ذلك. وفيه فائدة جليلة جدا وهى ان سعدا بن عبادة نزل عن مقامه الاول فى دعوى الامارة واذ عن للصديق بالامارة فرضي الله عنهم اجمعين (٢)

وقال الحافظ ابن كثير : اما بيعة الصديق فقد روينا في مسند الامام احمد انه سلم للصديق ما قاله من ان الخلفاء من قريش(٣) قال الهيثمى رجال احمد ثقات الا ان حميدا بن عبدالرحمن لم يدرك ابابكر (٤)

وقال ابن خلدون ونقل الطبري ان سعدا بايع يومئذ ثم قال: ولما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان امر السقيفة اجمع

---

(١) اى انهم رؤساء فى الجاهلية وفى الاسلام

(٢) منهاج السنة ١ ــ ١٤٣ ــ (٣) البداية والنهاية ٧ ــ ٣٣ وانظر ٥ ــ ٢٣٧

(٤)) مجمع الزوائد ٥ ــ ١٩١

المهاجرون والانصار على بيعة ابى بكر ولم يخالف الاسعدا ــ ان صح خلافه ــ ولم يلتفت اليه لشذوذه (١)

وجزم ابن حجر الهيثمى بان سعدا قدبايع الصديق رضي الله عنهما وذلك اما اخذا من حديث احمد اواعتمادا على ما رواه الطبرى. فقال ان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اجمعوا على ذلك وان ما يحكى من تخلف سعد بن عبادة عن البيعة مردود (٢)

مواقف الصديق الرفيعة فى الاسلام

قال الامام محى الدين النووى فى التهذيب فى ترجمة الصديق

وكانت له فى الاسلام مواقف رفيعة. منها قصته يوم ليلة الأسراء وتركه عياله واطفاله وملازمته فى الغار وسائر الطريق ثم كلامه يوم بدر ويوم الحديبية حين اشتبه الامر على غيره فى تأخر دخول مكة ثم بكائه حين قال رسول الله ﷺ ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله ثم ثباته فى وفاة رسول الله ﷺ وخطبته الناس وتسكينهم. ثم قيامه فى قصة البيعة لمصلحة المسلمين ثم اهتمامه وثباته فى بعث جيش اسامة بن زيد الى الشام وتصميمه فى ذلك. ثم قيامه فى قتال اهل الردة ومناظرته للصحابة حتى حجهم بالدلائل وشرح الله صدرهم

---

(١) بقية الجزء الثانى ٦٤ ــ ٦٥ ــ (٢) الصواعق ١١

لما شرح الله صدره له من الحق وهو قتال اهل الردة ثم تجهيز الجيش للشام لفتوحه وامدادهم بالامداد.

ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه واجل فضائله. وهو استخلافه على المسلمين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتفرسه فيه ووصيته له واستيداعه الله الامة. فخلفه الله عز وجل احسن الخلافة وظهر لعمر الذى هو حسنة من حسناته وواحدة من فعلاته تمهيد الإسلام واعزاز الدين وتصديق وعد الله تعالى بانه يظهره على الدين كله. وكم للصديق من مواقف وآثار ومن يحصى مناقبه ويحيط بفضائله الا الله عز وجل(١)

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات ٢ — ١٨١ — ١٨٢

الفصل الثانى فى امير المؤمنين عمر بن الخطاب

فضائل الفاروق رضى الله تعالى عنه

١ــ عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون ــ اى ملهمون ــ فان يك فى امتى احد فانه عمر﴾ متفق عليه

٢ــ عن سعد بن ابى وقاص قال: قال النبى ﷺ ﴿يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان. سالكا فجا قط الاسلك فجا غير فجك﴾ متفق عليه

٣ــ عن ابى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ ﴿بينما انا نائم رأيت الناس يعرضون على وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدى ومنها ما دون ذلك. وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره: قالوا فما اولت ذلك يارسول الله قال: الدين﴾ متفق عليه

٤ــ عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه﴾ رواه الترمذى وصححه واحمد

٥ــ قال ابن عمر رضى الله تعالى عنه «ما نزل بالناس امر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر الا نزل فيه القران على نحو ما قال عمر»

رواه الترمذى(١)

٦ـ عن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ ﴿قال لو كان بعدى نبيّ لكان عمر بن الخطاب﴾ رواه الترمذى

٧ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ما سمعت عمر يقول لشىء قط: انى لاظنه كذا الا كان كما يظن رواه البخارى

كيفية خلافة الفاروق رضى الله تعالى عنه

تقدمت معنا بعض النصوص الدالة على خلافته بعد الصديق رضى الله تعالى عنهما قال الامام محى الدين النووى فى التهذيب: ولى الخلافة رضى الله تعالى عنه باستخلاف ابى بكر رضى الله تعالى عنه وكان ابوبكر شاور الصحابة فى استخلاف عمر فاشار به عبد الرحمن بن عوف وقال هو افضل من رأيك فيه. ثم استشار عثمان بن عفان فقال انت اخبرنا به فقال وايضا فقال: علمى به ان سريرته خير من علانيته وانه ليس فينا مثله وشاور معهما سعيد بن زيد واسيد بن حضير وغيرهم من المها جرين والانصار فقال اسيد هو اعلم للخير بعدك يرضى للرضى ويسخط للسخط وسريرته خير من علانيته ولن يلى هذا الامر احد اقوى منه ثم دعى ابوبكر عثمان بن عفان فقال اكتب

بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا ما عهد ابوبكر بن ابى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند اول عهده بالآخرة داخلا فيها

---

(١) وبلغت الامور التى نزل فيها القران وفق رأيه خمسة عشر امرا

حين يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب انى مستخلف عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا فانى لم آل الله ورسوله ﷺ ودينه ونفسى واياكم خيرا فان عدل فذلك ظنى به وعلمى فيه وانْ بدل فلكل امرىء ما اكتسب والخير اردت ولا اعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله (١)

ثم امرهم فختم بالكتاب وخرج به الى الناس فبايعوا عمر جميعا ورضوا به ثم دعـــا ابوبكر عمر فاوصاه بما اوصاه

وعمر اول من سمى بامير المؤمنين. سماه بذلك عدى بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا اليه من العراق وكان قبل ذلك يقُال له خليفة خليفة رسول الله عدلوا عن تلك العبارة لطولها.(٢)

---

(١) مما يجدر ذكره ان بعض كبار المربين الربانيين المعاصرين كان يكتب هذا العهد بنصه لمن يجيزهم بالارشاد تبرئة لذمته من عهده ما يجوز ان يقع منهم بعده من التغيير والتبديل لو وقع ــ (٢) التهذيب ٢ ــ ١١ ــ ١٢

الكتاب الذى هم النبى بكتابته حينما اشتد وجعه ﷺ

من الامور المشكلة مارواه الشيخان وغيرهما ان النبى ﷺ حين اشتد وجعه قال: ايتونى بالكتف والدواه او اللوح والدواة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فقالوا ان رسول الله ﷺ يهجر

وفى بعض الروايات فتنازعوا وما ينبغى عند نبى تنازع وقالوا ماشانه اهجر

وفى بعض الروايات فقال عمر رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القران حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت فاختصموا فبعضهم اراد الكتاب وبعضهم وافق عمر ولما اكثروا اللغو والاختلاف قال النبى ﷺ قوموا. وكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.وقد تكلم العلماء على هذا الحديث بما يشفى العليل ويروى الغليل وقد اطال النفس فى الكلام عليه محى الدين النووى فى شرح مسلم واتى فيه بنفائس فرأينا ان ننقله مع تلخيص له

قال رحمة الله تعالى: اعلم ان النبى ﷺ معصوم من الكذب ومن تغيير شىء من الاحكام الشرعية فى حال صحته وحال مرضه ومعصوم من ترك بيان ماأمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه ليس معصوما من الامراض والاسقام العارضة للاجسام ونحوها مما لانقص فيه لمنزلته

ولافساد لما تمهد من شريعته

فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلف العلماء فى الكتاب الذى هم به النبى ﷺ فقيل اراد ان ينص على الخلافة فى انسان معين لئلا يقع فيه نزاع وفتن وقيل اراد كتابا يبين فيه مهمات الاحكام ملخصة ليرتفع النزاع فيها ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه وكان النبى هم بالكتاب حين ظهر له انه مصلحة او اوحى اليه بذلك ثم ظهر ان المصلحة تركه او اوحى اليه بذلك ونسخ ذلك الامر الاول

واما كلام عمر رضى الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون فى شرح الحديث على انه دلائل من فقه عمر وفضائله ودقيق نظره لانه خشى ان يكتب ﷺ امورا ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لانها منصوصة لامجال للاجتهاد فيها فقال عمر حسبنا كتاب الله لقوله تعالى ﴿مافرطنا فى الكتاب من شىء﴾(١) وقوله: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم﴾(٢) فعلم ان الله تعالى اكمل دينه فامن الضلال على الامة واراد التر فيه على رسول الله ﷺ فكان عمر افقه من ابن عباس وموا فقيه قال البيهقى ولو كان مراده ﷺ ان يكتب ما لا يستغنون عنه لم يتركه لاختلا فهم ولا لغيره لقوله تعالى ﴿بلغ ما انزل اليك﴾ وفى تركه ﷺ الانكار على عمر دليل على استصوا به وقال البيهقى: وقد حكى سفيان بن عيينة عن اهل العلم قبله انه ﷺ اراد ان يكتب استخلاف ابى بكر رضى الله عنه ثم ترك ذلك اعتمادا على ما علمه من تقدير الله تعالى ذلك كما هم بالكتاب فى اول مرضه حين قال

---

(١) الانعام ٣٨ — (٢) المائدة ٣

وارأساه ثم ترك الكتاب وقال: يابى الله والمؤ منون إلا أبابكر ثم نبه امته على استخلاف ابى بكر بتقديمه اياه فى الصلاة

وقال الخطابى ولا يجوز ان يحمل قول عمر على انه توهم الغلط على رسول الله ﷺ اوظن به غير ذلك مما لايليق به بحال لكنه لمارأى ماغلب على رسول الله ﷺ من الوجع وقرب الوفاة مع ما اعتراه من الكرب خاف ان يكون ذلك القول مما يقوله المريض مما لاعزيمة له فيه فيجد المنا فقون بذلك سبيلا الى الكلام فى الدين .

وقال المازرى ان قيل كيف جاز للصحابة الاختلاف فى هذا الكتاب مع قوله ﷺ ائتونى اكتب وكيف عصوه فى امره فالجواب انه لعله ظهر منه ﷺ من القرائن ما دل على انه لم يوجب ذلك عليهم بل جعله إلى اختيارهم فاختلف اختيارهم بحسب اجتهادهم ولعل عمر خاف أن المنافقين قد يتطرقون إلى القدح فى ما اشتهر من قواعد الإسلام ويبلغه الناس بكتاب يكتب فى خلوة وآحاد ويضيفون اليه ما يشبهون به على الذين فى قلوبهم مرض ولهذا قال عندكم القرآن حسبنا كتاب الله

وقال القاضى عياض قوله: اهجر رسول الله ﷺ هكذا هو فى صحيح مسلم وغيره أهجر على الاستفهام وهو اصح من رواية من روى هجر ويهجر لان هذا كله لايصح منه ﷺ لان معنى هجر هذى وانما جاء هذا من قائله استفهاما للانكار على من قال لا تكتبوا

اى لا تتركوا امر رسول الله ﷺ كامر من هجر فى كلامه لانه ﷺ لايهجر وان صحت الروايات الاخرى كانت خطأً من قائلها قالها بغير تحقيق بل لما اصابه من الحيرة والدهشة لعظيم ما شاهده من النبى ﷺ من هذه الحالة الدالة على وفاته وعظيم المصاب به وخوف الفتن والضلال بعده اجرى الهجر مجرى شدة الوجع وقول عمر رضى الله تعالى عنه «حسبنا كتاب الله» رد على من نازعه لاعلى امر النبى ﷺ والله اعلم(١)

(١) شرح مسلم بهامش القسطلانى ٧ ــ ٩٦ ــ ١٠١

الفصل الثالث فى أمير المؤمنين عثمان بن عفان

فضائل ذى النورين رضى الله تعالى عنه

١ــ قال رسول الله ﷺ ﴿من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان. ومن جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزها عثمان﴾ رواه البخارى واحمد والترمذى

٢ــ وعن انس رضى الله تعالى عنه ان النبى ﷺ صعد احدا(١) وابوبكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال ﴿اثبت احد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان﴾ رواه الخمسة الامسلما

٣ــ عن عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله ﷺ مضطجعا فى بيتى كاشفا عن فخذيه اوساقيه فاستأذن ابوبكر فاذن له وهو على تلك الحالة فتحدث ثم استأذن عمر فاذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه فلما خرج قالت عائشة يارسول الله دخل ابوبكر فلم تهش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال الاستحى من رجل تستحى منه الملائكة.

(١) وقع فى روايات لمسلم واحمد وابى يعلى بأسانيد صحيحة حراء بدل احد وهذا يدل على تعدد القصة ويؤيده ما وقع فى رواية اخرى لمسلم عن ابى هريرة فذكر انه كان على حراء ومعه المذكورون هنا وزاد معهم غيرهم وانظر فتح البارى ٧ ــ ٣٠ و ٤٦

وفى رواية قال ان عثمان رجل حيي وانى خشيت ان اذنت له على تلك الحالة ان لا يبلغ الى فى حاجته* رواه مسلم

٤ــ قال عبد الرحمن بن سمرة: جاء عثمان الى النبى ﷺ بالف دينار فى كمه حين جهزجيش العسرة فنثرها فى حجره فرأيت النبى ﷺ يقلبها فى حجره ويقول ﴿ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم﴾ مرتين. رواه الترمذى واحمد

٥ ــ عن عبد الرحمن بن جناب رضى الله عنه قال: شهدت النبى ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان فقال يارسول الله على مأة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال علي مأتا بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض فقام عثمان فقال على ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ، فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول ﴿ما على عثمان ما عمل بعد هذه ما على عثمان ما عمل بعد هذه﴾ رواه الترمذى واحمد

٦ــ عن ابن شهاب الزهرى قال حمل عثمان فى غزوة تبوك على تسعمائة وأربعين بعيرا وستين فرسا أتم الألف بها * رواه القز وينى والحاكمى

٧ــ عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال ﴿يقتل هذا فيها مظلوما﴾ واشار الى عثمان* رواه الترمذى

٨ــ عن مرة بن كعب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة يقربها فمر رجل مقنع فى ثوب فقال ﴿هذا يومئذ على الهدى﴾ فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان فاقبلت بوجهه على النبى ﷺ فقلت هذا فقال نعم* رواه الترمذى والحاكم وصححاه

٩ــ عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى ﷺ قال ﴿ياعثمان انه لعل الله ان يقمصك قميصا فان ارادوك على خلعه فلاتخلعه﴾ رواه احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم

١٠ــ عن عصمة بن مالك رضى الله تعالى عنه قال: لما ماتت بنت رسول الله ﷺ تحت عثمان قال رسول الله ﷺ ﴿زوجوا عثمان لوكان لى ثلاثة لزوجته وما زوجته الابوحى من السماء﴾ رواه الطبرانى بسند ضعيف

١١ــ عن ام عياش قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ما زوجت عثمان ام كلثوم الابوحى من السماء﴾ رواه الطبرانى باسناد حسن

١٢ــ عن عثمان بن موهب رضى الله تعالى عنه قال: جاء رجل من اهل مصر وحج البيت فرأى قوما جلوسا فقال من هؤلاء القوم فقالوا قريش قال من الشيخ فيهم قالوا عبد الله بن عمر قال ياابن عمر انى سائلك عن شىء فحدثنى. هل تعلم ان عثمان فريوم احد قال نعم فقال تعلم انه تغيب عن بدر فلم يشهدها؟ قال نعم. قال تعلم انه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال نعم. قال الله اكبر، قال ابن عمر: تعالى ابين لك

اما فراره يوم احد فاشهد ان الله تعالى عفى عنه وغفرله ،واما تغيبه عن بدر فانه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ ﴿ان لك اجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه﴾ واما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان احد اعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد

ما ذهب عثمان الى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى ﴿هذه يد عثمان﴾ فضرب بها على يده اليسرى فقال ﴿هذه لعثمان﴾ ثم قال له ابن عمر اذهب بها الآن معك* رواه البخارى والترمذى

١٣ــ عن ثمامة بن حزن القشيرى قال شهدت الدارحين اشرف عليهم عثمان فقال ائتونى بصاحبيكم اللذين البا على قال فجىء بهما كأنهما جملان او كأنهما حماران فاشرق عليهم عثمان فقال: «انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال ﴿من يشترى بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة﴾ فاشتريته من صلب مالى فانتم اليوم تمنعونى ان اشرب منها حتى اشرب من ماء البحر» قالوا اللهم نعم قال: «انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ ﴿من يشتر بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير منها فى الجنة﴾ فاشتريتها من صلب مالى فانتم اليوم تمنعونى ان اصلى فيها ركعتين» قالوا اللهم نعم، قال: «انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون انى جهزت جيش العسرة من مالى» قالوا: اللهم نعم، ثم قال: «انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة معه ابوبكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تسا قطت حجارة بالحضيض فركسه النبى ﷺ برجله فقال: ﴿اسكن ثبير انما عليك نبى وصديق وشهيدان﴾» قالوا: اللهم نعم، قال: الله اكبر شهدوا لى ورب الكعبة انى شهيد* رواه الترمذى والنسائى والدارقطنى

وفى بعض الروايات زادوا «انشدكم بالله من شهد بيعة الرضوان اذ قال رسول الله ﷺ ﴿هذه يدى وهذه يد عثمان﴾ فبايع لى»

فانتشدله رجال

زاد الدار قطنى فى بعض طرقه «وانشدكم بالله هل تعلمون ان رسول الله ﷺ زوجنى احدى ابنتيه بعد الاخرى رضى لى ورضى عنى» قالوا اللهم نعم،

قال: الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الاصابة جاء من اوجه متواترة ان رسول الله ﷺ بشر عثمان بالجنة وعده من اهل الجنة وشهد له بالشهادة.(١)

البيعة لذى النورين والاتفاق عليها

عن عمر بن ميمون: انه لما طعن عمر رضى الله عنه قالوا له: اوص يا امير المؤمنين استخلف، قال: ما اجد احق بهذا الامر من هؤلاء النفر او الرهط الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان وطلحة والزبير وسعدا وعبد الرحمن. وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شىء كهيئة التعزية له فان اصابت الامرة سعدا فهو ذاك والا فليستعن به ايكم ما امر فانى لم اعزله عن عجز ولا خيانة،

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى — اى نحو حجرة عائشة رضى الله عنها — فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب، قالت: ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه.

فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن: اجعلوا امركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت امرى الى على فقال طلحة:

---

(١) الاصابة ٢ — ٦٢

قد جعلت امرى الى عثمان، وقال سعد: قد جعلت امرى الى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: ايكما تبرأ عن هذا الامر فنجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرن افضلهم فى نفسه. فاسكت الشيخان. فقال عبد الرحمن: فتجعلو نه الى على ان لاآلو عن افضلكم. قالا نعم فاخذ بيد احدهما وهو على فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم فى الاسلام ما قد علمت فالله عليك لان امرتك لتعد لن ولئن امرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلى بالآخر فقال له مثل ذلك فلما اخذ الميثاق قال: ارفع يدك ياعثمان فبا يعه فبايع له على وولج اهل الدار ــ اى اهل المدينة ــ فبا يعوا* رواه البخارى

وروى أن النـاس كانوا يجتمعون ثلاثة أيام إلى عبدالرحمن يشاورونـه ويناجونه فلا يخلو به رجل ذوراى فيعدل بعثمان احدا، ولما جلس عبد الرحمن للمبايعة حمد الله واثنى عليه وقال فى كلامه: انى رأيت الناس يأبون الاعثمان* اخرجه ابن عساكر

وعن ابن مسعـــود رضى الله عنـه أنـه قال لما بويع عثـمان «أمّـرنـا خير من بقى ولم نأل» اخرجه الحاكم وابن سعد

وقال الامام احمد لم يتفق الناس على بيعة كما اتفقوا على بيعة عثمان ولاه المسلمون بعد تشاورهم ثلاثة أيام وهم مؤتلفون متفقون متحابون متوادون معتصمون بحبل الله جميعا فلم يعدلوا بعثمان غيره كما اخبر بذلك عبد الرحمن بن عوف ١*

قال ابن كثير: وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره

---

(١) منهاج السنة ٣ ــ ٢٣٣ ـ

عن رجال لايعرفون ان عليا قال لعبد الرحمن: خدعتني وانك انما وليته لانه صهرك وليشاورك كل يوم فى شانه وانه تلكأ[1]حتى قال له عبد الرحمن: فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن او فى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما. الى غير ذلك من الاخبار المخا لفة لما ثبت فى الصحاح فهى مردودة على قائليها ونا قليها والله اعلم[2]★

عدل عثمان ومعروفه وصلته وبره

قال الزهرى: ولى عثمان الخلافة اثنتى عشرة سنة يعمل ست سنين لاينقم الناس عليه شيئا وانه لأحب الى قريش من عمر لأن عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم[3]★

عن الحسن البصرى قال: سمعت عثمان يخطب وهو يقول: ما تنقمون على ما من يوم الا وانتم تقسمون فيه خيرا، قال الحسن وشهدت منادى عثمان ينادى: يا ايها الناس اغدوا على اعطياتكم فيغدون وياخذونها وافية، يا ايها الناس اغدوا على ارزاقكم فيغدون ويأخذونها وافية، حتى والله سمعت اذناى يقول: اغدوا على كسوتكم فيأخذون الحلل واغدوا على السمن والعسل، قال الحسن ارزاق دارة وخير كثير وذات بين حسن ما على الارض مؤمن يخاف مؤمنا الايوده

---

(١) تلكأ أى توقف على وتباطأ عن البيعة ومعنى فمن نكث عن العهد الذى أخذه عليه عبدالرحمن. (٢) البداية والنهاية ٧ ـ ١٤٧. (٣) تاريخ الخلفاء ١٥٦.

وينصره ويألفه* رواه الحافظ ابن عبد البر والطبراني با سناد حسن (١)

عن ابن سيرين قال : كثر المال فى زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها وفرس بمأة الف درهم ونخلة بالف درهم * رواه ابن عبد البر (٢)

وقال السيوطى : لما فتحت البلاد الواسعة ــ اى فى عهد عثمان ــ كثر الخراج على عثمان واتاه المال من كل وجه حتى اتخذت الخزائن وادر الارزاق وكان يأمر للرجل بمأة الف بدرة فى كل بدرة اربعة الاف اوقية (٣) *

ظهور النقمة على عثمان والتألب عليه

بعد مضى ست سنين من خلافة عثمان الراشدة ظهرت سوء القالة فيه وفشت النقمة عليه ثم حصل التألب عليه وليس فيه ما يبعث على ذلك سوى حيائه ولينه وصلته وبره والاشرار يملون العدل والمعروف كما يملون الظلم والمنكر

روى ابن عبد البر عن سالم عن ابن عمر قال: « لقد عتبوا على عثمان اشياء ولو فعلها عمر ما عتبوا عليه » (٤) وعبد الله بن عمر كان شاهد عيانا لخلافة عثمان من اولها الى آخرها وكان اشد الناس فى التزام السنة المحمدية ومع ذلك كان يشهد لعثمان بان كل ما عتبوا

(١) الاستيعاب ٣ ــ ٧٣ ومجمع الزوائد ٩ ــ ٩٣ و ٩٤ ــ
(٢) الاستيعاب ٣ ــ ٧٣ ــ (٣) تاريخ الخلفاء ١٥٦
(٤) الاستيعاب ٣ ــ ٧٣

عليه كان يحتمل ان يكون من عمر وهو ابوه ولوكان ذلك من عمر لما عتب عليه احد

قال القاضى ابو بكر بن العربي : تألب عليه قوم لأحقاد اعتقدوها ممن طلب أمرا فلم يصل اليه وحسد حسادة اظهر دائها وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين وإيثار للعاجلة على الآجلة، واذا نظرت اليهم دلك صريح ذكرهم على دنائة قلوبهم وبطلان امرهم وسموا من قام عليه فوجدناهم اهل اغراض سوء حيل بينهم وبينها. (١)

وقد اجمل الباحث المحقق الشيخ محب الدين الخطيب الاسباب التى دعت المتألبين الى الاقدام على فعلتهم الشنعاء وجريمتهم النكراء فيما يلى فقال الذين شاركوا فى الجناية على الاسلام يوم الدار طوائف على مراتب

١ ــ فيهم الذين غلب عليهم الغلو فى الدين واكبروا الهناة وارتكبوا فى انكارها الموبقات

٢ ــ وفيهم الذين لم تكن لهم فى الاسلام سابقة فحسدوا اهل السابقة من قريش على ما اصابوا من مغانم شرعية جزاء جهادهم وفتوحاتهم فارادوا ان يكون لهم مثلها بلا سابقة ولا جهاد

٣ ــ وفيهم الموتورون (٢) من حدود شرعية اقيمت على بعض ذويهم فاضطغنوا فى قلوبهم الاحن والغل من اجلها

٣ ــ وفيهم الحمقى الذين استغل السبئيون ضعف قلوبهم فدفعوهم الى الفتنة والفساد والعقائد الضالة

(١) العواصم من القواصم ص٥٨ و ١١١

(٢) يقال وتر فلانا يتره وترا وترة قتل حميمه ووتره ادركه بمكروه وافزعه

٥ -وفيهم من اثقل كاهله خير عثمان ومعروفه فكفر معروف عثمان عند ما طمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم بسبب نشأته فى احضانه

٦ ــ وفيهم من اصابهم من عثمان شيء من التعزير لبوادر بدرت منهم تخالف ادب الاسلام فا غضبهم التعزير الشرعى من عثمان ولو انهم قد نالهم من عمر اشد منه لرضوا به طائعين

٧ ــ وفيهم المتعجل بالرئاسة قبل أن يتأهلوا لها بما لهم من ذكاء خلاب وفصاحة لا تغذيها الحكمة فثاروا متعجلين بالامر قبل ابانه

وبالاجمال فان الرحمة التى جبل عليها عثمان وامتلأ بها قلبه اطمعت الكثيرين فيه وارادوا ان يتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم (١)

واذا احطنا بتاريخ تلك الحقبة وانعمنا النظر فيه ادركنا ان الدافع الرئيسى للتألب على عثمان امران

١ ــ ان العرب ممن ليس لهم فى الاسلام سابقة وكان لهم فى الفتوحات قدم وكان لهم فضل ذكاء وفصاحة كانوا يرون ذلك لانفسهم مع ما يدين به فضلائهم من تفضيل اهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم وما كانوا فيه من الذهول والدهشة لامر النبوة، ونزول الوحى وتنزل الملائكة

فلما انحسر ذلك الباب وتنوسى الحال بعض الشى وذل العدو واستفحل الملك اخذت عروق الجاهلية تنبض ووجدوا الرئاسة عليهم للمهاجرين والانصار من قريش وسواهم فانفت نفوسهم ووافق ذلك

---

(١) التعليقات على العواصم من القواصم ٥٨

أيام عثمان رضى الله تعا لى عنه وما كان عليه من السماحة ولين الجانب والرحمة والأريحية فكانوا يظهرون التمريض فى طاعة ولاته ويجهرون با لطعن فيهم بالأمصار والمؤآخذة لهم باللحظات والخطرات ويفيضون فى النكير على عثمان

وفشت القالة بذلك وانتهت الى المدينة وهم من علمت فاعظموه وابلغوه عثمان ، فبعث الى الامصار ان يكشفوا له الخبر ، بعث ابن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد فلم ينكروا على الامراء شيئاولارأوا عليهم طعنا وادوا ذلك كما علموا فلم ينقطع الطعن من اهل الامصار ومازالت الاشاعات تنمو ....(١)

٢ ـــ دهاءذلك الرجل اليهودى الصنعانى المنافق رأس الفرقة والضلال وجرثومة الفتنة والفساد عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء الذى حاول أن يكيد الإسلام من نواح ثلاث

١ ـــ من ناحية اثارة الشقاق والاضطراب واعمال الشغب والإرهاب وزعزعة الأمن والاستقرار وسفك الدماء بين المسلمين الامور التى راح أول ضحية لها الدم الطاهر للخليفة الراشد ، وما زالت ضحايها تتوالى وويلاتها على المسلمين تتتابع وما وقعة الجمل وصفين وحروب الخوارج الابعض آثارها السيئة وعواقبها الوخيمة

٢ـــ ومن ناحية تحويل باس المسلمين الشديد على الكفار عن الكفار الى مابينهم وشل حركة الجهاد وتوقيف المد الإسلامى الذى كان يزحف على وجه الأرض بسرعة هائلة جعلته اغمض لغز بين مفكرى العالم

(١) ابن خلدون ـــ المقدمة ـــ ٢١٥ ـــ بقية الجزء الثانى ١٣٨

٣ــ ومن ناحية تحريف الدين القويم وبث دعوته المسمومة بين اهله التى كان لها الاثر الجسيم فى عقول طوائف عظيمة الى يومنا هذا

فقد حاول الرجل ان يحذو حذو جده الأعلى محرف الديانة النصرانية بولس ويشغل مقعده الشاغر منذ امد بعيد ويتخذ من نفسه بولسا ثانيا، وانى له ذلك والله تعالى يقول: انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون.

ووا فقت محاولته هذه تلك الحالة المشؤمة وذلك الوسط الملائم لها فكانت تلك الحالة خير فرصة يغتنمها ويستغلها لتعميق جذور مكيدته فاخذ يغذيها بلبان دهائه ويضرم نارها بنفط شطارته ويبث سموم دعوته فى عقول الحمقى والغلاة وضعاف العقول الذين هم اول مجيب لدعاة الضلال بحنا كته ويهوديته، ولو لاه لبقيت النقمة نقمة ضيقة النطاق وربما اقتلع عثمان وكبار الصحابة رضى الله عنهم جذورها من القلوب بحكمتهم فضلا عن ان تنقلب الى تألب وتمرد ثم ثورة وخروج وانتهاك لحرمة مدينة الرسول ﷺ ثم انتهاك لحرمة الخليفة الراشد وعرضه واستباحة لدمه الطاهر.

قال الطبرى: فيما كتب به اليّ السرّي عن شعيب عن سيف عن عطيّة عن يزيد الفقعسى قال: كان عبد الله بن سبأ يهوديا من اهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمن عثمان ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند احد من اهل الشام فاخرجوه حتى اتى مصر فاعتمر فيهم ــ اى اقام فيهم ــ فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم ان عيسى يرجع ويكذب بان محمدا ﷺ يرجع وقد قال الله عز وجل ﴿وان

الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد﴾١ فمحمد احق بالرجوع من عيسى قال قبل ذلك عنه فوضع لهم الرجعة فتكلموا فيها.

ثم قال لهم بعد ذلك: انه كان الف نبى ولكل نبى وصى وكان على وصى محمد ﷺ ثم قال محمد خاتم الانبياء وعلى خاتم الاوصياء ثم قال بعد ذلك: من اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصى رسول الله ﷺ وتناول امر الامة.

ثم قال لهم بعد ذلك: ان عثمان اخذها بغير حق وهذا وصى رسول الله ﷺ فانهضوا فى هذا الامر وابدؤا بالطعن على امرائكم واظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم الى هذا الامر.

فبث دعاته وكاتب من كان استفسد فى الامصار وكاتبوه ودعوا فى السر الى ما عليه رأيه واظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

وجعلوا يكتبون الى الامصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاته ويكاتبهم اخوانهم بمثل ذلك ويكتب اهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه اولائك فى امصارهم وهؤلاء فى امصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة واوسعوا الارض اذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون فيقول اهل كل مصر انا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء الا اهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الامصار فقالوا انا لفى عافية مما فيه الناس

فاتى الصحابة عثمان فقالوا ياامير المؤمنين اياتيك عن الناس الذى يأتينا قال لا والله ما جاءنا الا السلامة قالوا فانا قد اتانا واخبروه بالذى اسقطوا اليهم قال: فانتم شركائى وشهود المؤمنين فاشيروا على قالوا

---

(١) القصص ٨٥

نشير عليك ان تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك باخبارهم ففرق رجالا الى الامصار فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا ايها الناس ما انكرنا شيئا ولا انكره اعلام المسلمين ولاعوامهم واستبطأ الناس عمارا فلم يفجأهم الاكتاب من عبد الله بن سعد بن ابى سرح يخبرهم ان عماراً قد استماله قوم بمصر منهم عبد الله بن سبأ(١)

«ثم ارسل السبئيون الى عثمان من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه من توليته اقربائه وذوى رحمه وعزله كبار الصحابة فدخل هذا فى قلوب كثير من الناس فجمع عثمان نوابه من الامصار فاستشارهم فاختلفوا عليه وكل أشار بخير فعند ذلك قرر عثمان عماله على ما كانوا عليه وتالف قلوب أولئك بالمال وامر بان يبعثوا للغزو والى الثغور كى يتفرق جمعهم ويشتغلوا بالغزو عماهم فيه من الشر فجمع بين المصالح كلها.٢»

ولكن الشر لم ينحسم ولم ينصع الناقمون الى اوامر امرائهم ولم يرتدعوا عن غيهم لان اغراضهم الشريرة لم تتحقق «حتى ان اهل الكوفة امتنعوا من ان يدخل عليهم عاملهم سعيد بن العاص ولبسوا السلاح وحلفوا ان لايمكنوه من الدخول فيها حتى يعزله عثمان ويولى عليهم اباموسى الاشعرى فاجابهم عثمان الى ما سألوا ازاحة لعذرهم وازالة لشبهم وقطعا لعللهم.٣»

---

(١) الطبرى ٥ ــ ٩٨-٩٩ وانظر البداية والنهاية ٧-١٦٧-١٦٨

(٢)ملخص من البدياة والنهاية ٧ ــ ١٦٧ وانظر الطبرو ٥ ٩٤ الى ١٠٠

(٣) البداية والنهاية ٧ ١٦٧ ــ والطبرى ٥ ــ ٩٥ ــ ٩٦ ــ

تزوير الكتب على لسان كبار الصحابة

ولم يقنعوا بتلك الكتب التى حشوها بالكذب على عمال عثمان وتراسلوا بها بالتظلم منهم ووضعوها فى عيوبهم حتى زوروا الكتب على لسان كبار الصحابة بالتظلم من عثمان نفسه

قال ابن كثير: وزورت كتب على لسان كبار الصحابة الذين بالمدينة وعلى لسان على وطلحة والزبير يدعون الناس الى قتال عثمان نصرا للدين وانه اكبر جهاد اليوم، وهذا كذب على الصحابة وانما كتبت كتب مزورة عليهم انكروها.١

وقال محب الدين الخطيب: تزوير الكتب فى مأساةالبغى على أمير المؤمنين عثمان كان من اسلحة البغاة استعملوه من كل وجه وفى كل الاحوال فقد ذكروا عن محمد بن ابى حذيفة ربيب عثمان الآبق من نعمته انه كان فى مصر يؤلب الناس على امير المؤمنين ويزور الكتب على لسان ازواج النبى ﷺ ويأخذ الرواحل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت فى الفسطاط ووجوههم الى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلوح المسافر ثم يأمرهم ان يخرجوا الى طريق الحجاز بمصر ثم يرسلوا رسلا يخبرون عنهم الناس ليستقبلوهم فاذا لقوهم قالوا انهم يحملون كتبا من ازواج النبى ﷺ فى الشكوى من حكم عثمان وتتلى هذه الكتب فى جامع عمرو بالفسطاط على ملأ الناس وهى مكذوبة مزورة وحملتها كانوا فى مصر ولم يذهبوا الى الحجاز انتهى. ٢

وسيأتى طرف من تزوير الكتب فيما بعد.

(١) البداية والنهاية ٧ ــ ١٧٥ ــ ١٧٣ (٢) التعليقات ١٠٩

مجيء الاحزاب إلى عثمان من الامصار واقناع عثمان وكبار الصحابة اياهم وانصرافهم نحو بلدانهم

تواعد المتألبون جميعا من اهل الامصار الثلاثة مصر والكوفة والبصرة شوال يخرجون فيه مظهرين الحج فخرج كل فى ستمائة ونزلوا قريبا من المدينة وكان في المصريين ابن سبأ، وكانت اهوائهم مختلفة فى من يلى الخلافة بعد عثمان فالمصريون يريدون عليا والكوفيون يريدون الزبير بن العوام والبصريون يريدون طلحة بن عبيد الله(١) فاجتمع من اهل كل مصر وفد وذهبوا الى من يريدون فاتى اهل مصر عليا فسلموا عليه وعرضوا عليه امرهم فصاح بهم وطردهم وقال : لقد علم الصالحون انكم ملعونون على لسان محمد ﷺ فارجعوا لا صبحكم الله ، قالوا نعم وانصرفوا من عنده على ذلك وكذلك قال طلحة والزبير لمن جاءهم.(٢) .

قال ابو بكر ابن العربى: واستقبلهم عثمان فقالوا له ادع بالمصحف فدعى به فقالوا : افتح التاسعة ــ يونس ــ فقالوا اقرأ فقرأ الى قوله تعالى ﴿ الله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾(٣) فقالوا له قف أرأيت ماجمعت من الحمى آالله أذن لك ام على الله إفتريت قال امضه انما نزلت فى كذا وكذا وقد حمى عمر وزادت الابل فزدت فجعلوا يتتبعونه هكذا وهو ظاهر عليه حتى قال لهم ما ذا تريدون فاخذوا ميثاقه واشترطوا عليه ستة شروط اوخمسة. ان المنفى يعاد. والمحروم

---

(١) ويترجح ان هذا كما قال محب الخطيب من دهاء ابن السبأ ومكره حيث كان يبث فى كل مصر الدعوة لواحد من الثلاثة (٢) ملخص من البداية والنهاية ٧ ــ ١٧٣ ــ ١٧٤ والطبرى ٥ ــ ١٠٤ ــ ١٠٥ (٣) يونس ٥٩

يعطى. ويوفر الفىء. ويعدل فى القسم. ويستعمل ذو الامانة والقوة، فكتبوا ذلك فى كتاب. واخذ عليهم ان لايشقوا عصى ولا يفرقوا جماعة ثم رجعوا راضين (١) وروى البزار نحو هذا بسند رجاله رجال الصحيح غير واحد وهو ثقة (٢).

قال محب الدين: كان الزا حفون من الامصار فريقين رؤساء خادعين على درجات متفاوتة ومرؤسين مخدوعين وهم الكثرة التى بثت فيهم دعايات مغرضة حتى ظنت ان هناك منفيين مظلومين ومحرومين سلبوا حقهم الخ وقد رأيت شهادة الحسن البصرى وابن سيرين اصدق شاهدين فى العراق عن وفرة الأعطيات والارزاق وانواع الخيرات، ولما اصغى عامة الثائرين المخدوعين الى اجوبة عثمان وعرفوا الحقيقة اقتنعوا ورجعوا وتخلف فى المدينة من الرؤسا كما فى الطبرى (٣) الاشتر النخعى وحكيم بن جبلة (٤) .

رجوع الثوار عندما وجدوا الكتاب

فبينماهم سائرون راجعون ــ وقد كانوا طووا مراحل ــ اذا راكب يتعرض للمصريين ثم يفارقهم ويعود اليهم ويسبهم فاخذوه فقالوا ما شأنك إن لك لشأنا قال انا رسول امير المؤمنين الى عامله بمصر ففتشوه فاذا معه كتاب على لسان عثمان عليه خاتمه ان يصلبهم ويضرب

---

(١) العواصم ١٢٤ والطبرى ٥ ــ ١٠٧ (٢) مجمع الزوائد ٧ ــ ٢٢٨ . ٢٢٩ ــ (٣) ٥ ــ ١٢٠ (٤) التعليقات على العواصم ١٢٥

اعناقهم ويقطع ايديهم وارجلهم فرجعوا فقدموا المدينة فاتوا عليا فقالوا له الم تر الى عد والله كتب فينا بكذا وكذا فقم معنا اليه فقال: والله لا اقوم معكم قالوا فلم كتبت الينا قال: والله ما كتبت اليكم كتابا قط، فنظر بعضهم الى بعض ثم قال بعضهم الهذا تقاتلون ام لهذا تغضبون.١

وقال الكوفيون والبصريون رجعنا لننصر إخواننا ونمنعهم جميعا. قال الطبرى: كانما كانوا على ميعاد، قال لهم على «كيف علمتم يا اهل البصرة ويا اهل الكوفة بمالقى اهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا هذا والله امر ابرم بالمدينة» قالوا: فضعوه على ما شئتم لاحاجة لنا فى هذا الرجل ــ عثمان ــ ليعتزلنا.٢ وخرج على فنزل قرية خارج المدينة.٣

(١ــ ٣) مجمع الزوائد عن البزار بسند رجاله رجال الصحيح الا واحدا وهو ثقة ــ ٧ــ ٢٢٩ والطبرى ٥ ــ ١٠٧ ــ ١٠٨ والعواصم ١٢٥ ــ ١٢٨ والكتابة التى ادعوها كانت مزورة والمتعجبون هم الفريق المخدوعون منهم واما الخادعون فهم الذين زوروا الكتب

(٢) الطبرى ٥ ــ ١٠٥ البداية والنهاية ٧ ــ ١٠٧ ــ ١٠٨ والذى فيها فقال لهم الصحابة كيف علمتم بذلك من اصحابكم وقد افترقتم وصاربينكم مراحل؟ انما هذا امر اتفقتم عليه

تحقيق امر الكتاب

ولا بد ان نقف هنا وقفة كي نحقق امر الكتاب ونتحقق منه فنقول: اذا لفتنا النظر الى ما قد مناه من الروا يات فى امر الكتاب نراها تعطينا عدة دلائل على ان الكتاب مفتعل ومزور من قبل المتخلفين فى المدينة من رؤساء الثوار وذلك لتجديد الفتنة بعد ان صرفها الله واراح المسلمين من شرورها وبعد ان لم تنجح مساعيهم الخبيثه ولم تتحقق اغراضهم الشريرة

١ــ حال الراكب الحامل للكتاب وصنيعه من تعرضه للمصريين ومفارقته اياهم وعودته اليهم وسبهم فما هذا الصنيع الا ليلفت انظارهم اليه ويثير الشكوك فى نفسه من قبلهم وهذا ما اراده مدبروا المكيدة من المتخلفين ولو كان الراكب بريدا لعثمان اومروان لسلك طريقا غير طريق الثوار او لأستخفى منهم اوــ على الاقل ــ لسالمهم ولما اثار الشكوك فى نفسه من قبلهم

٢ــ رجوع العراقيين مع رجوع اخوانهم المصريين على الرغم من تباعدهم بنحو ستة مراحل فقد كان المصريون مغربين نحو الشمال والعراقيون مشرقين نحو الشمال فمن اخبر العراقيين فى ساعة عثور المصريين على الكتاب بامر الكتاب اكان معهم هاتف او لاسلكى

٣ــ انه لم تكن هذه الحجة الواضحة لتخفى على علىّ كرم الله وجهه ــ وهو يتوقد ذكاءــ ولا على كبار الصحابة ــ وهم من الالمعية بمكان ــ فنرى انهم حاجوا الثوار بنفس الحجة فحجوهم

ونرى ان الامام على رضى الله تعالى عنه بعد ان حججهم حلف ان هذا الامر ابرم بالمدينة — اى من قبل المتخلفين — وان الصحابة قالوا هذا امر اتفقتم عليه — اى فيما بينكم — وكذلك عثمان لم يكن ليخفى عليه هذاالامر وقال لهم: كما فى الطبرى ان الكتاب مفتعل. ١ ومن ثمة امتنع من تسليم مروان لهم

٤-انه لما لم تبق شبهة فى يد الثوار امام هذه الحجة القاطعة سلموا ذلك ولجأوا الى منطق القوة كما هو عادة الظلمة العتاة وقالوا: لاحاجة لنا فى هذا الرجل — اى عثمان — ليعتزلنا. واعترفوا ضمنا بان قصة الكتاب مفتعلة وان الغرض الاول والأخير هو خلع أمير المؤمنين عثمان او سفك دمه الطاهر لااحقاق الحق وابطال الباطل

٥ — واذا قارنا تلك الروايات برواية اخرى استنتجنا منها حجة اخرى لاتقل قوة عن الحجج الأخر على ان الكتاب مفتعل من قبل المتخلفين وذلك أنه قد صرح الثوار بان الذى ارسل اليه الكتاب هو عبد الله بن سعد بن ابى سرح كما فى الطبرى « وكان عبد الله عقب حركة الثوار من مصر متوجهين نحو المدينة قد كتب الى عثمان يستأذنه فى القدوم عليه فاذن له وخرج هو فى آثار المصريين من مصر نحو العريش وفلسطين وايلة وتغلب محمد بن ابى حذيفة على الحكم فى مصر خارجا على الخليفة» ٣

فكيف يكتب عثمان او مروان الى عبد الله بن سعد وعندهما كتابه الذى يستأذنه به فى القدوم الى المدينة

فالذى ينحل من ذلك ان قوافل الثوار العراقيين كانت على ميعاد

---

(١) الطبرى ٥ — ١٢٠ — (٢) ٥ — ١٢٠

(٣) الطبرى ٥ — ١٢٢ وانظر ابن خلدون بقية الجزأ الثانى ١٦٦ — ١٦٧

مع المصريين فى امر الرجوع بمعذرة مفتعلة كما اشار اليه الطبرى حيث قال: كانما كانوا على ميعاد. اوان المتخلفين استأجروا راكبين وجهوا احدهما نحو المصريين ليمثل دور حامل الكتاب. وآخر الى العراقيين ليخبرهم بان المصريين اكتشفوا كتابا من امره كيت وكيت

وان الذين زوروا الكتب على لسان كبار الصحابة فيما قبل هم الذين زوروا هذا الكتاب على عثمان ثم الصقوه بمروان وقد كانوا يهدفون بصنيعهم هذا الى امور

١ـــ تسويغ رجوعهم بعد ان اضطروا الى الانصراف لما لم تبق فى يدهم شبهة امام حجج عثمان رضى الله عنه

٢ـــ تشويه سمعة عثمان بانه اما رجل خائن اوضعيف تبرم الأمور بدون علم منه وانه يستكتب الخونة فليس هو باهل للخلافة كما صرحوا بذلك فى بعض محاوراتهم فيما روى عنهم (١)

٣ـــ ثم تشويه سمعة مروان على مدى العصور

والى نحو ما قدمناه اشار ابن خلدون حيث قال: تجمع قوم من الغوغاء وجاءوا الى المدينة يظهرون طلب النصفة من عثمان وهم يضمرون خلاف ذلك من قتله فعزل لهم عامل مصر فانصرفوا قليلا ثم رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس يزعمون انهم لقوه فى يد حامله الى عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على ذلك فقالوا مكنا من مروان كاتبك فحلف مروان فقال ليس فى الحكم اكثر من هذا فحاصروه فى داره ثم بيتوه على حين غفلة من الناس وقتلوه (٢)

---

(١) الطبرى ٥ ـــ ١٢٠ ـــ (٢) المقدمة ٢١٦

ضرب الحصار على امير المؤمنين عثمان وقتله

قال القاضى ابوبكر بن العربى: وبعد ان اجابهم على بما اجابهم انطلقوا الى عثمان فقالوا له: كتبت فينا كذا قال لهم اما ان تقيموا شاهدين من المسلمين على ذلك والا فيمينى انى ما كتبت ولا امرت وقد يكتب على لسان الرجل ويضرب على خطه وينقش على خاتمه[1] فقالوا لتسلم لنا مروان فقال لا افعل ولو سلمه لكان ظالما وانما عليهم ان يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه فما ثبت كان هو منفذه وآخذه والممكن لمن ياخذه بالحق و لم يقبلوا ذلك منه ونقضوا عهده وحصروه وطلبوا منه ان يخلع نفسه والاقتلوه فابى ان يخلع قميصا قمصه الله اياه كما امره النبى ﷺ بذلك.

واشرف عليهم واحتج عليهم بالحديث الثابت بسند صحيح في بناء المسجد وحفر بئررومة وقول النبى ﷺ حين رجف بهم احد واقرواله به فى اشياء ذكرها.

وقدروى عبد الله بن عامر بن ربيعة قال كنت مع عثمان فى الدار فقال اعزم على كل من يرى ان لى عليه سمعا وطاعة الاكف يده وسلاحه ثم قال قم يا ابن عمر وعلى ابن عمر سيفه متقلدا فاخبر به الناس فخرج ابن عمر والحسن بن علىّ ودخلوا فقتلوه.

وجاء زيد بن ثابت فقال له ان هؤلاء الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا انصار الله مرتين قال عثمان لا حاجة لى بذلك كفوا وقال له ابو هريرة اليوم طاب الضرب معك قال عزمت عليك لتخرجن

---

(١) مجمع الزوائد عن البزار بسند رجاله رجال الصحيح الا واحدا وهو ثقة ٧ ــ ٢٢٩ والطبرى ٥ ــ ١٠٨

وكان الحسن بن على آخر من خرج من عنده فانه جاء الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان فعزم عليهم في وضع السلاح وخروجهم ولزوم بيوتهم فقال له ابن الزبير ومروان نحن نعزم على انفسنا لانبرح ففتح عثمان الباب ودخلوا عليه فى اصح الاقوال فانه تحقق انه مقتول بخبر الصادق له بذلك وانه بشره بالجنة على بلوى تصيبه وانه شهيد.

وروى انه قال له فى المنام ان شئت نصرتك او تفطر عندنا الليلة(١)

وقد روى انه ما قتله احد الاعلاج من اهل مصر فسقطت قطرة من دمه على المصحف على قوله فسيكفيكهم الله فانها باقية ما حكت الى الان (٣)

وروى ان عائشة رضى الله تعالى عنها قالت غضبت لكم من السوط ولا اغضب لعثمان من السيف؟ استعتبتموه حتى اذا تركتموه كالقند المصفى. ومصتموه ـــ اى غسلتموه ـــ موص الاناء وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس ثم قتلتموه. قال مسروق احد أئمة التابعين فقلت لها عملك كتبت الى الناس تأمرينهم بالخروج عليه فقالت عائشة: والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت اليهم سوادا فى بياض قال الاعمش فكانوا يرون انه كتب على لسانها.

(١ ـ ٣) فى مجمع الزوئد عن مسلم ابى سعيد مولى عثمان بن عفان ان عثمان بن عفان اعتق عشرين عبدا مملوكا ودعى بسراويل فشدها عليه ولم يلبسها فى جاهلية ولا اسلام وقال انى رأيت رسول الله ﷺ البارحة فى المنام وابا بكر وعمر فقالوا لى اصبر فانك تفطر عندنا القابلة ثم دعى بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه رواه عبد الله وابو يعلى فى الكبير ورجالهما ثقاة-٧

ثم قال القاضى ابو بكر فهذا اشبه ماروى فى الباب وبه يتبين ان احدا من الصحابة لم يسع له ولا قعد عنه ولو استنصر ما غلب الف اواربعة آلاف غرباء عشرين الف بلديين او اكثر من ذلك ولكنه القى بيده الى المصيبة.

وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثلها هل يلقى بنفسه او يستنصر واجاز بعضهم ان يستسلم ويلقى بيده اقتداء بفعل عثمان وبتوصية النبى ﷺ بذلك فى الفتنة واذا استسلم وحرم على احدان يدافع عنه بالقتل هل يجوز لغيره ان يدافع عنه ولا يلتفت الى رضاه اختلف العلماء فيها.

ثم قال القاضى ابو بكر فالذى ينخل من ذلك ان عثمان مظلوم محجوج بغير حجة وان الصحابة برآء من دمه باجمعهم لانهم اتوا ارادته وسلموا له رايه باسلام نفسه وان عثمان لم يأت بمنكر لافى اول الامر ولا فى آخره ولا جاء الصحابة بمنكر وكل ما سمعت من خبر باطل اياك ان تلتفت اليه.

ولقد ثبت زائدا على ما تقدم عنهم ان عبدالله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال لعثمان انا معك فى الدار عصابة مستبصرة ينصر الله باقل منهم فأذن لنا فقال اذكر الله رجلا اراق لى دما.

وقال سليط بن ابى سليط: نهانا عثمان عن قتالهم فلو اذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من اقطارها انتهى كلام القاضى ابو بكر بتصرف (١)

---

(١) العواصم ١٢٩ــ ١٤١ ــ

وروى انه قال لرقيقه : من اغمد سيفه فهو حر (١)

قال ابن كثير: واما ما يذكره بعض الناس من ان بعض الصحابة اسلمه ورضى بقتله فهذا لايصح عن احد من الصحابة بل كلهم كرهه ومقته وسب من فعله ولكن بعضهم يود لو خلع نفسه من الامر كعمار بن ياسر ومحمد بن ابى بكر وعمر بن الحمق وغيرهم. (٢)

وقال تقى الدين بن تيمية: ان خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم فى دم عثمان لاقتل ولا امر بقتله وانما قتله طائفة من المفسدين فى الارض من او باش القبائل واهل الفتن وكان على رضى الله تعالى عنه يقول «اللهم العن قتلة عثمان فى البر والبحر والسهل والجبل.»(٣)

وقال القاضى ابوبكر: وقد انتدبت الجهلة والمردة ان يقولوا: ان كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغبا ومؤلبا وبما جرى عليه راضيا واخترعوا كتابا فيه فصاحة وامثال كتب به عثمان مستصرخا الى على وذلك كله مصنوع ليوغروا قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين (٤)

قال ابن حجر الهيثمى: وفى قصة مقتل عثمان اشياء كثيرة لم تصح فلا تغتر بها.(٥)

---

(١) البداية والنهاية ٧ ـ ١٨١. (٢) البداية والنهاية ٧ ـ ١٩٨. (٣) منهاج السنة ٢ ـ ١٨٦. (٤) العواصم ١٣٩. (٥) تطهير الجنان ٤٤.

كيف وقع قتل عثمان رضى الله عنه فى المدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة

هذا الامر وان كان معلوما مما قدمناه الا ان الحافظ ابن كثير قد اوضحه زيادة ايضاح فرأينا ان نثبت كلامه هنا قال رحمه الله تعالى

ان قال قائل كيف وقع قتل عثمان رضى الله تعالى عنه بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم فجوابه من وجوه

احدها ان كثيرا منهم بل اكثرهم اوكلهم لم يكن يظن انه يبلغ الامر الى قتله فان اولئك الاحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينا بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة. اما ان يعزل نفسه. او يسلم اليهم مروان بن الحكم. او يقتلوه فكانوا يرجون ان يسلم الى الناس مروان او ان يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة واما القتل فما كان يظن احد انه يقع ولا ان هؤلاء يجترؤن عليه الى ما هذا حده حتى وقع ما وقع والله اعلم

الثانى ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم ما نعوا دونه اشد الممانعة ولكن لما وقع التضييق الشديد عزم عثمان على الناس ان يكفوا ايديهم ويغمدوا اسلحتهم ففعلوا فتمكن اولئك مما ارادوا ومع هذا ماظن احد من الناس انه يقتل بالكلية

الثالث ان هؤلاء الخوارج لما اغتنموا غيبة كثير من اهل المدينة فى ايام الحج ولم تقدم الجيوش من الافاق للنصرة بل لما اقترب مجيئهم انتهزوا فرصتهم قبحهم الله وصنعوا ما صنعوا من الامر العظيم

الرابع ان هؤلاء الخوارج كانوا قريبا من الفى مقاتل من الأشرار وربما لم يكن فى اهل المدينة هذه العدة من المقاتلة لأن الناس كانوا فى الثغور وفى الأقاليم وفى كل جهة ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتنزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم ومن كان يحضر منهم المسجد لايجىء الا ومعه السيف يضعه على حبوته اذا احتبى والخوارج محدقون بدار عثمان رضى الله تعالى عنه وربما لو ارادوا صرفهم عن الدار لما امكنهم ذلك ولكن كبار الصحابة قد بعثوا اولادهم الى الدار يجاحفون عن عثمان رضى الله عنه لكى تقدم الجيوش من الامصار لنصرته فمافجىء الناس الا وقد ظفر اولئك بالدار من خارجها واحرقوا بابها وتسوروا عليه حتى قتلوه.(١)

وما قاله ابن كثير من انه ربما لم يكن فى اهل المدينة هذه العدة من المقاتله وربما لو ارادوا صرفهم عن الدار لما امكنهم ذلك وقوله واحرقوا بابها وتسوروا عليه حتى قتلوه، مخالف لما تقدم عن ابن العربى وذلك من اختلاف الروايات

الامور التى نقموها على عثمان رضى الله عنه

جاؤا متظلمين وقالوا معتدين جاء عثمان فى ولايته بمظالم ومناكير.

١ــ ضربه لعمار حتى فتق امعائه

(١) البداية والنهاية ٧ ــ ١٩٧ ــ ١٩٨

٢ــ ولابن مسعود حتى كسر اضلاعه ومنعه عطائه

٣ــ وابتدع فى جمع القران وفى حرقة المصاحف

٤ــ وحمى الحمى

٥ــ واجلى اباذر الى الربذة

٦ــ واخرج من الشام ابا الدرداء

٧ــ ورد الحكم بعد ان نفاه رسول الله ﷺ الى الطائف

٨ــ وابطل سنة القصر فى الصلوات فى السفر

٩ــ وعزل كبار الصحابة

١٠ــ وولى اقاربه كمعاوية وعبد الله بن سعد بن ابى سرح وعبد الله بن عامر بن كريز ومروان بن الحكم وولى الوليد بن عقبة وهو فاسق ليس باهل للولاية

١١ــ واسرف فى بيت المال حيث اعطى اكثره لاقاربه

١٢ــ ولم يحضر بدرا وانهزم يوم احد وغاب عن بيعة الرضوان

١٣ــ ولم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان الذى اعطى السكين ابا لؤلؤة وحرضه على عمر حتى قتله

١٤ــ وكتب مع عبدّه على جمله كتابا الى ابن ابى سرح فى قتل من ذكر فيه.

تحقيق الكلام على ما نقموه على عثمان رضى الله عنه

١ـــ ضربه لعمار رضى الله تعالى عنه

اما ضربه لعمار فقد روى انه كان بين عمار وبين عباس بن عتبة بن ابى لهب خلاف حمل عثمان على ان يؤدبهما عليه بالضرب (١) وهذا مما يفعله الامراء فى مثل هذه الاحوال قبل عثمان وبعده. وكم فعل عمر مثل ذلك بامثال عمار ومن هم خير من عمار بما له من حق الولاية عليهم.

ولما بعث عثمان رجالا ممن يثق بهم الى الامصار وكان فيهم عمار ارسله الى مصر والتف به السبئيون ليستميلوه اليهم تدارك عثمان وعامله بمصر هذا الامر وجىء بعمار الى المدينة مكرما وعاتبه عثمان لما قدم عليه فقال له على ما رواه الحافظ ابن عساكر (٢) ياابا اليقظان قذفت ابن ابى لهب أن قذفك وغضبت على ان اخذت لك بحقك وله بحقه اللهم قد وهبت ما بينى وبين امتى من مظلمة اللهم انى متقرب اليك فى اقامة حدودك فى كل احد ولا ابالى اخرج عنى ياعمار فخرج واظهر الندم على ما فعل. (٣)

واما فتق امعائه فافك ولوفتق امعائه ما عاش ابدا. (٤)

---

(١)انظر الطبري ٥ـــ ١٠٢ (٢) تاريخ دمشق ٧ـــ ٤٢٩ (٣) التعليقات على العواصم ٦٤ ــ (٤) العواصم ٦٤

٢ــ ضربه ابن مسعود ومنعه عطاءه

واما ضربه ابن مسعود ومنعه عطاءه فزور كما قاله ابن العربي.١ وقد تقدم قول ابن مسعود لما بويع عثمان «بايعنا خيرنا و لم نأل»

قال محب الدين الخطيب: وعند ولاية عثمان كان ابن مسعود واليا لعمر على اموال الكوفة وسعد بن ابى وقاص على صلاتها وحربها فاختلف سعد وابن مسعود على قرض استقرضه منه سعد فعزل عثمان سعدا وابقى ابن مسعود.٢ الى هنا لايوجد بين ابن مسعود وبين خليفته الا الصفو.

ولما عزم عثمان على تعميم مصحف موحد واحد فى العالم الاسلامى يجمع اصحاب رسول الله ﷺ على انه المصحف الكامل الموافق لآخر عرضة عرض بها كتاب الله عز وجل على رسول ﷺ قبل وفاته كان ابن مسعود يود لو ان كتابة المصحف نيطت به وكان يود ايضا لو يبقى مصحفه الذى كان كتبه لنفسه فيما مضى فجاء عمل عثمان على خلاف ما كان يود ابن مسعود فى الحالين فاختار عثمان زيد بن ثابت لكتابة المصحف الموحد لان ابابكر وعمر اختاراه قبل ذلك لهذا العمل فى خلافة ابى بكروذلك لانه هو الذى حفظ العرضة الاخيرة لكتاب الله على رسول الله ﷺ قبيل وفاته

فكان عثمان على حق فى هذا وهو يعلم كما يعلم سائر الصحابة مكانة ابن مسعود وعلمه وصدق ايمانه ثم ان عثمان كان على حق ايضا فى غسل المصاحف الاخرى كلها ومنها مصحف ابن مسعود لان

---

(١)العواصم من القواصم ٦٣ (٢) الطبرى ٥ــ ٤٨

توحيد كتابة المصحف على اكمل ما كان فى استطاعة البشر هو من اعظم اعمال عثمان باجماع الصحابة وكان جمهور الصحابة فى كل ذلك مع عثمان على ابن مسعود.(١)وعلى كل حال فان عثمان لم يضرب ابن مسعود ولم يمنعه عطائه وبقى يعرف له قدره
كما بقى ابن مسعود على طاعته لامامه الذى بايعه وهو يعتقد انه خير المسلمين. (٢)

٣ــ جمع عثمان رضى الله تعالى عنه القرآن

وأمـا جمعـه القرآن فحسنته العظمى ومنقبته الكبرى وذلك لما أنهى إليه حذيفـة وغـيره أن أهـل الشـام وأهل العراق اختلفوا فى القرآن. يقول بعضهم لبعض قراءتى خير من قراءتـك وهذا أمر عظيم فرأى عثمان أن يجمع الناس على مصحف واحد كى يامنوا بذلك اختلاف الامة فاخذ صحف ابى بكر التى جمع القرآن فيها فاستنسخ منها مصحفا وامر الناس بالتزام ما فيه وامر بكتابة مصاحف اخرى وارسلها الى البلدان

قال القاضى ابوبكر: واما ما روى انه حرقها او خرقها بالمهملة او المعجمة وكلاهما جائز اذا كان فى بقائها فساد او كان فيها ما ليس فى القرآن او ما نسخ منه او على غير نظمه فقد سلم فى ذلك الصحابة كلهم الاماروى عن ابن مسعود فاكرهه عثمان على رفع مصحفه ومحى رسومه فلم تثبت له قراءة أبدا. (٣)

---

(١) انظر منهاج السنة ٣ــ١٩٢ والبداية والنهاية ٧ــ٢١٧

(٢) التعليقات علىالعواصم ٦٣ــ٦٤ (٣) العواصم ٧١

٤ـــ حمى عثمان رضى الله تعالى عنه الحمى

واما الحمى فقد نهى النبى ﷺ عنه الا ان يكون لمصلحة الإسلام فقال ﴿لا حمى الا لله ورسوله﴾ رواه البخارى وقد حمى النبى ﷺ النقيع لخيل بيت المال كما رواه الامام احمد ثم اتسع عمر فيه فشمل شرف والربذة ثم اتسع عثمان فيه لاتساع الدولة وازدياد الفتوح. واذا جاز اصل الحمى للحاجة جازت الزيادة لزيادة الحاجة.(١)

٥ـــ نفى عثمان اباذر رضى الله تعالى عنهما الى الزبذة

واما نفيه اباذر الى الربذة فلم يفعل وانما اختار ابوذر ان يعتزل فى الربذة فوا فقه عثمان على ذلك

قال القاضى ابوبكر: كان ابوذر زاهدا وكان يقرع عمال عثمان ويتلو عليهم ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم﴾(٢)ورآهم يتسعون فى الملابس والمراكب حين وجدوا فينكر ذلك عليهم ويريد تفريق جميع ذلك من بين ايديهم. وهو غير لازم. قال ابن عمر وغيره من الصحابة «اذا اديت زكاته فليس بكنز» فوقع بين معاوية وابى ذر كلام فى الشام فاعلم معاوية بذلك عثمان وخشى من العامة ان تثور منهم فتنة. فكتب اليه عثمان ان يقدم المدينة فلما قدم اجتمع اليه الناس فجعل يسلك نفس الطريقة

---

(١) أنظرالطبرى ٥ـــ ٩٢ ـــ (٢) التوبة ٣٤

فقال: له لو اعتزلت ــ معناه انك على مذهب لايصلح لمخالطة الناس فان للخلطة شروطا وللعزلة مثلها ومن كان على طريقة ابى ذر فحاله يقتضى ان ينفرد بنفسه او يخالط ويسلم لكل احد حاله مما ليس بحرام فى الشريعة ــ فخرج الى الربذة وترك جلة فضلاء وكل على خير وبركة وحال ابى ذر افضل ولا تمكن لجميع الخلق فلو كانوا عليها لهلكوا، فسبحان مرتب المنازل. (١)

وروى الطبرى: ان ابا ذر استأذن عثمان فى الخروج من المدينة وقال: ان رسول الله ﷺ امرنى ان اخرج منها اذا بلغ البناء سلعا. فاذن له ونزل الربذة وبنى بها مسجدا واقطعه عثمان صرمة من الابل واعطاه مملوكين واجرى عليه رزقا وكان يتعاهد المدينة وبين المدينة والربذة ثلاثة اميال.(٢) قال ياقوت وكان من احسن منزل فى طريق مكة. (٣)

وقال ابن كثير: وبعد ان توفى ابوذر ضم عثمان عياله الى عياله.(٤)

٦ــ اخراج عثمان ابا الدرداء من الشام

واما اخراج ابى الدرداء من الشام فباطل كما قال ابن العربى قال: وقع بين ابى الدرداء وبين معاوية كلام وكان ابو الدرداء زاهدا فاضلا قاضيا لهم بدمشق فلما اشتد فى الحق واخرج طريقة عمر فى قوم لم يحتملوها عزلوه فخرج الى المدينة. (٥)

---

(١) العواصم ٧٣ــ٧٦ ــ (٢)الطبرى وابن خلدون بقية الجزء الثانى ١٣٩
(٣) التعليقات ٧٦ ــ(٤) البداية والنهاية ٧ــ١٦٥ (٥) العواصم من القواصم ٧٧

٧ــ رد عثمان رضى الله عنه الحكم بن ابى العاص

واما رد الحكم بن ابى العاص ابى مروان وعم عثمان الى المدينة. فالجواب انه قد اختلف فى سبب نفيه فروى ان رسول الله ﷺ كان مع احدى زوجاته فدخل عليه الحكم شق الجدار وكلح فى وجهه ﷺ وقيل كان يتحيل ويستخفى ويتسمــع ما يستخفيه رســول الله ﷺ الى كبار الصحابة فى مشركى قريش وسائر الكفار والمنا فقين فكان يفشى ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه وقيل كان يحكيه فى مشيته وسائر حركاته وقيل كان اذا تكلم النبى ﷺ اختلج فبصر به النبى ﷺ فقال كن كذلك فما زال يختلج حتى مات. (١)

قال تقى الدين ابن تيمية: طعن كثير من اهل العلم فى نفى الحكم وقالوا ذهب باختياره وقصة نفيه ليست فى الصحاح ولا لها ولا لما يذكر من اسبابها اسناد يعرف به امرها وانما ذكرت مرسلة وقد ذكرها المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه فلم يكن هناك نقل ثابت يوجب القدح فيمن هو دون عثمان انتهى ملخصا.(٢)

وعلى تقدير ثبوته فلعل الحكم تاب مما قد نفى من اجله كما قاله بعض العلماء ونفى رسول الله ﷺ كما قال ابن حزم لم يكن حدا واجبا ولاشريعة على التابيد وانما كان عقوبة على ذنب استحق به النفى والتوبة

---

(١)الأصابة ١ــ٣٤٥ــ٣٤٦ والأستيعاب ١ــ٣١٧ــ٣١٨

(٢)منهاج السنة ٣ــ١٩٦ــ٢٣٥ــ٢٣٦ ــ

مبسوطة فاذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلاخلاف من احد من اهل الاسلام.(١) على انه قد روى ان عثمان اعتذر لما اعاده الى المدينة بانه كان قد شفع فيه الى النبى ﷺ فوعده برده وقال لابى بكر وعمر فقالا ان كان معك شاهد رددناه فلما ولى قضى بعلمه فى رده.(٢)

وفى الاصابة. قال ابن السكن يقال ان النبى ﷺ دعى عليه ـــ اى الحكم ـــ ولم يثبت ذلك. (٣)

٨ـــ ترك عثمان رضى الله تعالى عنه القصر

واما تركه القصر فى الصلاة وكان ذلك بمنى فى موسم الحج سنة ٢٩ فاجتهاد اذ سمع ان الناس افتتنوا بالقصر فظنوا جوازه فى الحضر ايضا وفعلوا ذلك فى منازلهم فرأى ان السنة ربما ادت الى اسقاط الفريضة فتركها خوف الذريعة مع ان اكثر العلماء قالوا ان المسافر مخير بين القصر والاتمام واختلف فى ذلك الصحابة (٤)

---

(١) الفصل ٤ـــ١٥٤

(٢) العواصم ٧٧ والأصابة ١ـــ٣٤٦ ـــ (٣) الأصابة ١ـــ٣٤٥

(٤) من مراجعنا فى هذا المبحث العواصم ٧٨ـــ٨٠ والصواعق ١١٣

٩ــ عزل عثمان كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم

واما عزله كبار الصحابة كابى موسى الاشعرى عن البصرة وعمرو ابن العاص عن مصر وعمار بن ياسر عن الكوفة والمغيرة بن شعبة عنها ايضا وابن مسعود عنها ايضا فانما فعل ذلك لأعذار اوجبت عليه ذلك

فاما ابو موسى وعمرو بن العاص والمغيرة فقد اكثر الشكاية فيهم والتظلم منهم اهل امصارهم ممن عملت فيهم الدعاية والاستثارة واثرت فى قلوبهم الشعوذة والضلالة المدبرة من قبل ابن سبأ ومن كانوا يستمعون اليه من شذاذ الامصار الذين قيل فيهم اعرب هم ام عجم ومسلمون هم ام مفسدون مدسوسون على الإسلام فلما رأى عثمان تصميمهم على ذلك ظهر له ان المصلحة فى عزلهم وان كانوا كاذبين عليهم

واما عمار فالذى عزله عمر لاعثمان

واما ابن مسعود فكان يعترض على عثمان كثيرا فظهرت له المصلحة فى عزله على ان المجتهد لا يعترض عليه فى اموره الاجتها دية.(١)

١٠ــ تولية عثمان رضى الله تعالى عنه اقاربه

واما توليته اقاربه فقد اقتدى فيها برسول الله ﷺ وصاحبيه قال ابو العباس تقى الدين بن تيمية: ان بنى امية كان رسول الله ﷺ يستعملهم فى حياته واستعملهم بعده من لايتهم بقرابة فيهم

(١) من مراجعنا فى هذا المبحث الصواعق ١١١ وتاريخ الخميس ٢ ـ ٢٦٦ وقد بسط الكلام فيه .

ابوبكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ولا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ اكثر من بنى عبد شمس لانهم كانوا كثيرين وكان فيهم شرف وسؤدد فاستعمل النبى ﷺ عتاب بن اسيد بن ابى العاص على مكة وابا سفيان بن حرب على نجران وخالد بن سعيد على صدقات بنى مذحج وعلى صنعاء اليمن وعثمان بن سعيد على تيماء وخيبر وقرى عرينة وابان بن سعيد على بعض السرايا ثم على البحرين. فعثمان لم يستعمل الامن استعمله النبى ﷺ ومن جنسهم وقبيلتهم وكذلك ابوبكر وعمر بعده فقد ولى ابوبكر يزيد بن ابى سفيان فى فتوح الشام واقره عمر ثم ولى عمر بعده اخاه معاوية.١

وقد ثبت فى التاريخ ان عمال عثمان خدموا الإسلام وشيدوا الدين فقد فتحوا بلادا كثيرة حتى وصلوا غربا الى الاندلس وشر قا الى بلخ وكابل وقاتلوا برا وبحرا واستأصلوا ارباب الفتن والفساد من عراق العجم وخراسان وتولية الاقارب اذا كانوا من اهل الكفاءة والنجدة مما لايعاب فقد ولى على اقاربه من قبل ابيه وامه.

قال ابن تيمية: ولى علىّ عبيد الله بن العباس على اليمن وقثم بن العباس على مكة والطائف وعبد الله بن العباس على البصرة وربيبه محمد بن ابى بكر على مصر واما المدينة فقيل انه ولى عليها سهل بن حنيف وقيل ثمامة بن العباس.٢

وقال ابن القيم: كل حديث فى ذم بنى امية فهو كذب.٣

---

(١)منهاج السنة ٣ ١٧٥ــ ١٧٦ ــ(٢)وأيضا ٣ــ١٧٣ــ١٧٦

(٣) المنار المنيف بتعليقات ابى غدة١١٧

الكلام على عمال عثمان رضى الله عنه تفصيلا

١ــ اما معاوية رضى الله عنه فعمر ولاه وجمع له الشامات كلها واقره عثمان قال ابن العربى: بل انما ولاه ابوبكر الصديق رضى الله تعالى عنه لأنه ولى اخاه يزيد واستخلفه يزيد فاقره عمر لتعلقه بولاية ابى بكر لاجل استخلاف واليه له فتعلق عثمان بعمر واقره فانظر الى هذه السلسلة ما أُوثق عراها ولن ياتى احد بمثلها ابدا بعدها. (١)

٢ــ واما عبد الله بن عامر بن كريز فولاه عثمان كما قال لأنه كريم العمات والخالات.(٢)

قال محب الدين الخطيب: هو عبشمى الآباء هاشمى الخؤلة نشأ سخيا كريما شجاعا ميمون النقيبة.(٣) كثير المناقب افتتح خراسان كلها واطراف فارس وسجستان وكرمان حتى بلغ اعمال غزنة وقضى على يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس وقوض آخر امل الامبرا طورية المجوسية. (٤)

قال ابن كثير: انه اول من اتخذ الحياض بعرفة لحجاج بيت الله واجرى اليها الماء المعين.(٥)

---

(١)العواصم ٧١ ــ (٢)وأيضا ٧٣ــ٨٤

(٣)نقيبة الرجل سجيته وطبيعته والنقيبة المشورة يقال هو ميمون النقيبة ويقال ماله نقيبة اى نفاذفى الرأى

(٤) التعليقات على العواصم ٨٤ ــ (٥) البداية والنهاية ٨ ــ ٨٨

٣ــ واما مروان بن الحكم فقد قال ابن العربى انه رجل عدل من كبار الامة عند الصحابة والتابعين اما الصحابة فان سهل بن سعد الساعدى روى عنه: واما التابعون فاصحابه فى السن وان جازهم باسم الصحبة فى احد القولين: واما فقهاء الامصار فكلهم على تعظيمه واعتبار خلافته.(١) والتلفت الى فتواه والانقياد الى روايته. واما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على اقدارهم وحكمهم عليه بالفسق فسق منهم. (٢)

وقال العلامة المحقق ابن خلدون لم يكن مذهب مروان بن الحكم وابنه ــ عبد الملك ــ مذهب اهل البطالة والبغى انما كانوا متحرين لمقاصد الحق جهدهم الا فى ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذى هو أهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء وما علم السلف من احوا لهم ومقاصدهم فقد احتج مالك فى الموطأ بعمل عبد الملك. واما مروان فكان فى الطبقة الاولى من التابعين وعدا لتهم مفروغ عنها. (٣)

وقال شيخ الاسلام والحفاظ فى الإصابة ــ فى ترجمة معاوية بن ابى سفيان ــ ممن روى عنه مروان بن الحكم و..... وسعيد بن المسيب.(٤) فعده فى كبار التابعين وقرنه بمثل ابن المسيب

(١)هذا غير صحيح والصحيح الذى عليه الجمهور اعتبار خلافة ابن الزبير واعتبار مروان خارجا عليه كما سيأتى

(٢) العواصم من القواصم ٨٩ ــ ٩٠ ــ (٣) المقدمة ٢٠٦ ــ (٤) الإصابه ٣ ــ ٤٣٤

وتعقبه ابن حجر الهيثمي فى تطهيرالجنان بأنه يشكل على ذلك ما جاءعنه من إيذائه الشديد لأهل البيت وسبه لعلى رضىالله عنه على المنبر كل جمعة وقوله للحسنين رضىالله عنهما:أنتم أهل بيت ملعونون ونحو ذلـك، ثم أجـاب بأنه لم يصح شىء من ذلك وأن ما فيه شىء من ذلك فى سنده علة ولهذا روى له البخارى وغيره ولم يجرحه المحدثون. ولوصح عنه شيء من ذلك لنقله الحفاظ وتكلموا عليه.(١)

وفى الاصابة: وروى عنه ـــ مروان ـــ من التابعين ابنه عبد الملك وزين العابدين على بن الحسين وعروة بن الزبير وسعيد بن المسيب رأس علماء التابعين وغيرهم وكان يعد فى الفقهاء.(٢)ورواية عروة عنه فى صحيح البخارى

وفى الاستيعاب: قال عروة كان مروان لايتهم فى الحديث. (٣)

وقال ابن كثير: قال ابو الحكم سمعت الشافعى يقول كان على يوم الجمل حين انهزم الناس يكثر السؤال عن مروان. فقيل له فى ذلك فقال: انه يعطفنى عليه رحم ماسة وهوسيد من شباب قريش

وروى انه قيل لمعاوية من تركت لهذا الامر من بعدك. فقال اما القارىءلكتاب الله الفقيه فى دين الله الشديد فى حدود الله مروان بن الحكم. وقال حنبل عن الامام احمد قال: يقال: كان عند مروان قضاء وكان يتتبع قضايا عمر بن الخطاب. (٤)

---

(١) تطهير الجنان ٢٦ ـــ (٢) الاصابة ٣ ـــ ٤٧٧

(٣) الاستيعاب بها مش الاصابة ٣ ـــ ٤٢٨

(٤) البداية والنهاية ٨ ٢٥٧ ـــ ٢٥٨ ـــ

وقال ابن القيم: احاديث ذم الوليد وذم مروان بن الحكم كذب.(١)
واما الكتاب الملصق به فقد تقدم امره.

٤ــ واما عبد الله بن سعد بن ابى سرح. وهو اخو عثمان من الرضاع ارضعت امه عثمان فقد اسلم قبل الفتح وهاجر وكان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ ثم ارتد وسار الى مكة وقال لقريش: كان يملى علىّ عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول كل صواب.(٢) فلما كان يوم الفتح امر النبى ﷺ بقتله فيمن امر بقتلهم ولو وجدوا تحت استار الكعبة ففر الى عثمان فغيبه ثم اتى به الى النبى ﷺ بعد ما اطمأن اهل مكة فاستأمنه له فصمت طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله ما صمتّ الا لتقتلوه فقال رجل هلا اومأت الينا يارسول الله ﷺ فقال انه لاينبغى لنبى ان يكون له خائنة الأعين ثم اسلم ذلك اليوم وحسن اسلامه ولم يظهر منه بعد ماينكر. وهو احد العقلاء والكرماء من قريش. ثم ولاه عثمان مصر سنة ٢٥ ففتح الله تعالى على يديه افريقية وكان فتحا عظيما بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف مثقال ذهب. وشهد معه هذا الفتح تحت لوائه العبادلة

وكان فارس بنى عامر بن لؤى وغزى بعد افريقية الاساود من ارض النوبه سنة ٣١ وغزى غزوة الصوارى فى البحر الى الروم وحين قتل عثمان بن عفان اعتزل الفتنة فاقام بعسقلان وقيل بالرملة وكان دعى بان يختم عمره بالصلاة فسلم من صلاة الصبح التسليمة الاولى

---

(١) المنار المنيف ١١٧ (٢) من المعلوم ان اخباره هذا كان صدر عنه حال ردته لا حال اسلامه فليس لهذا الاخبار اى قيمة علمية

ثم هم بالتسليمة الثانية عن يساره فتوفى سنة ٣٦ انتهى من تهذيب الاسماء للنووى.(١)

٥ــ واما الوليد بن عقبة بن ابى معيط وهو اخو عثمان لامه اروى بنت كريز وامها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم فان الناس على أسوأ النيات اسرعوا الى السيئآت قبل الحسنات فنقموا على عثمان انه انما ولاه لأنه اخوه وانه ليس باهل للولاية. فقد سماه الله تعالى فاسقا فى قوله: ﴿ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة﴾(٢) فانها على ما قاله اكثر المفسرين نزلت فيه لما ارسله رسول الله ﷺ الى بنى المصطلق لأخذ صدقاتهم فلما دنى منهم خرجوا يتلقونه فظن انهم انما خرجوا لقتاله لأحنة كانت بينه وبينهم فرجع الى النبى ﷺ واخبره بذلك. فارسل رسول الله ﷺ اليهم خالد بن الوليد فتثبت فى امرهم فتبين بطلان قوله: وكذا قدحوا فيه بانه قدحد فى الخمر.

نبذة من حياة الوليد بن عقبة

لايخفى على الملم بحياة هذا الصحابى الجليل انه كان من رجال الدولة الاسلامية على عهد ابى بكر وعمر الذين كانا يتخيران للاعمال ذوى الكفاءة والامانة من الرجال وكان ذلك من اعظم اسباب ذلك الانتشار السريع على اوسع نطاق للاسلام على عهدهما. وانه كان محل ثقة واعتماد الخليفتين وممن وسدا اليه الامور الهامة لما كانا يريان فيه

(١) التهذيب ١ ــ ٢٦٩ ــ ٢٧٠ ــ (٢) الحجرات ٦

من الكفاءة وصدق الايمان.

قال محب الدين الخطيب: واول عمل له فى خلافة الصديق انه كان موضع السر فى الرسائل الحربية التى دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد فى وقعة المذار مع الفرس سنة.١٢(١)

ثم وجهه مددا إلى قائده عياض بن غنم الفهرى(٢) وفى سنة ١٣ كان الوليد يلى لابى بكر صدقات قضاعة ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص فى الحرمة والثقة والكرامة فكتب الى عمرو بن العاص والى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة فيالق الجهاد فسار ابن العاص بلواء الاسلام نحو فلسطين وسار الوليد بن عقبة قائدا الى شرق الأردن (٣)

ثم رأينا الوليد فى سنة ١٥ على عهد عمر اميرا على بلاد بنى تغلب وعرب الجزيرة (٤) وكان فى ولايته هذه يحمى ظهور المجاهدين فى بلاد الشام لئلايؤتوا من خلفهم وانتهز الوليد فرصة ولايته على هذه الجهة التى كانت لاتزال مليئة بالنصارى فكان مع جهاده الحربى وعمله الادارى داعيا الى الله يستعمل اساليب الحكمة والموعظة الحسنة لحمل نصارى اياد وتغلب على الدخول فى الاسلام

بهذا الماضى المجيد جاء الوليد فى خلافة عثمان فتولى الكوفة له وكان من خير ولاتها عدلا ورفقا واحسانا وكانت جيوشه مدة ولايته على الكوفة تسير فى آفاق الشرق فاتحة ظافرة موفقة كما شهد له بذلك

(١) الطبرى ٤ ـ ٧. (٢) الطبرى ٤ ـ ١٢.

(٣) الطبرى ٢٩٤ ـ ٣٠ (٤) الطبرى ٤ ـ ٥٥.

بظهر الغيب قاض من اعظم قضاة الاسلام فى التاريخ علما وفضلا وانصافا وهو التابعى الجليل الأمام الشعبى

روى الطبرى ان الشعبى سمع فى اوا ئل بطولة مسلمة بن عبد الملك حفيدا للوليد بن عقبة يتحدث عن جهاد مسلمة فقال الشعبى : كيف لو ادركتم الوليد غزوه وامارته انه كان ليغزو فينتهى الى كذا وكذا ما قصر ولا انتقض عليه احد حتي عزل عن عمله وعلى الباب — اى الدربند وراء بحر الخزر فى روسيا وكان من امنع معاقل الدنيا — عبد الرحمن الباهر — وهو من اعظم قواد الوليد —

وان كان مما زاد عثمان الناس على يده — اى على يد الوليد — ان رد على كل مملوك با لكوفة من فضول الاموال ثلاثة فى كل شهر يتسعون بها من غير ان ينقص مواليهم من ارزاقهم (١) هذا (٢)

وقال النووى ولما قتل عثمان اعتزل الوليد الفتنة واقام با لرقة الى ان توفى بها وله بها عقب روى عنه ثابت بن الحجاج والشعبى وغيرهما. (٣)

وقال ابن العربى قال عثمان:ما وليت الوليد لانه اخى وانما وليته لانه ابن ام حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ وتوئمة ابيه ، والولاية اجتهاد وقد عزل عمر سعد بن ابى وقاص وقدم اقل منه درجة (٤)

والمستعرض لسيرة هذا الصحابى الجليل والبطل الاسلامى العظيم الذى كان محل ثقة الخلفاء الراشدين الثلاثة لايرتاب فانه اهل للولاية

---

(١) الطبرى ٥ — ٦٠ — (٢) التعليقات ٨٦ و ١٠٠ — (٣) التهذيب ٢ — ١٤٦ (٤) العواصم ٨٥ — ٨٨ —

وانما تساوره الشكوك فى ثبوت ما قيل فيه من نزول الاية فيه وتسميته فاسقا وشربه للخمر ونفرد لكل منهما كلاما نحقق الامر فيه

نزول الاية فى الوليد

اما نزول الاية فنرى كثيرا من العلماء المحققين والحفاظ المتقنين يظهرون التشكك فيه فهذا الحافظ المفسر المؤرخ ابن كثير بعد سرده لما ورد فى نزول الاية فيه من الروايات قال فى البداية والنهاية والله اعلم بصحة ذلك (١) وقال فى التفسير والله اعلم. (٢)

وكذلك نرى سيد الحفاظ ابن حجر العسقلانى يقول فى الاصابة: يقال ان الآية نزلت فى الوليد ثم يطعن فى بعض رواة الحديث الذى رواه الطبرانى فى ذلك ويعارضه بما رواه ابو داود مما يدل على ان سن الوليد كان حين وقوع الحادث صغيرا وسيجىء الكلام عليه ويظهر التشكك فى ذلك ولم يجزم فيه بشىء (٣)

وقال القاضى ابوبكر بن العربى قد اختلف فى ذلك ـــ اى سبب نزول الاية ـــ فقيل نزلت فى ذلك وقيل فى على والوليد فى قصة اخرى وقيل ان الوليد سبق يوم الفتح فى جملة الصبيان الى رسول الله ﷺ فمسح رؤسهم وبرك عليهم الا هو فقال انه كان على راسه خلوق فامتنع ﷺ من مسه. فمن يكون فى مثل هذا السن كيف يرسل مصدقا وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الاحاديث القوية ،وكيف

(١) ٨ ـــ ٢١٤ ـــ (٢) ٤ ـــ ٢١٠ ـــ (٣) ٣ ـــ ٦٣٧ ـــ ٦٣٨

يفسق رجل بمثل هذا الكلام فكيف برجل من اصحاب محمد ﷺ (١)

وما حكاه القاضي فى سن الوليد هو الذى رواه ابو داود وكذا الامام احمد كلاهما عن ثابت بن الحجاج عن عبدالله بن مالك بن الحارث الهمدانى عن الوليد بن عقبة وكلهم ثقات لكن تكلم فى عبدالله الهمدانى بانه مجهول. (٢)

لكن قال محب الدين الخطيب: هو معروف وموثوق به لكن التبس اسمه بهمدانى اخر يكنى ابا موسى واسمه مالك بن الحارث ــ اى على اسم والد عبد الله الهمدانى ــ وهو مجهول عند اهل الجرح والتعديل (٣) هذا

واذا تصفحت جملة الروايات الواردة فى ذلك ــ على كثرتها ــ رأيتها اما موقوفة او مضعفة من قبل الحفاظ ،وامثلها كما قال ابن كثير (٤) ما رواه الامام احمد بسند قال فيه الهيثمى فى مجمع الزوائد ان رواته ثقات(٥) لكنه معارض بما رواه أبو داود والامام أحمد المتقدم .

وقد أورد الحافظ فى الاصابة (٦) أمرين يدلان على كبر سن الوليد يوم الفتح إلا أنهماليس لهما سند فلايصح التعويل عليهما
وبهذا التحقيق تبين أنه لم يثبت فى نزول الأيةفى الوليد شئ يصح التعويل عليه .

---

(١) العواصم ٩٠ ــ ٩٣ ــ (٢) انظر الاصابة ٣ ــ ٦٣٨ ــ (٣) التعليقات ٩٢ (٤) التفسير ٤ ــ ٢٠٨ ــ (٥) مجمع الزوائد ٧ ــ ١٠٩ ــ

(٦) الاصابة ــ ٣ ــ ٦٣٨

وبتقدير ثبوت ماقاله أكثرالمفسرين من نزول الأية فيه فيجاب عنه بأجوبة

١ــ ما قاله الامام فخر الدين الرازى: ان الآية نزلت عامة لبيان وجوب التثبت فى خبر الفاسق فى ذلك الحين الذى وقعت فيه حادثة الوليد لا انها نزلت لهذه الحادثة بالذات وليس فى الآية ولا فى شىء من الاحاديث انها نزلت لذلك. غاية ما فى الباب انها نزلت فى ذلك الوقت وهو مثل التاريخ لنزول الآية، ثم قال: ويتأكد ما ذكرنا ان اطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد لانه توهم وظن فاخطأ والمخطىء لايسمى فاسقا. (١)

٢ــ ان المراد بالفاسق والله اعلم الخارج عن حجر الشرع وان كان الخروج بالامور التى ليست مخلة بالعدالة او كان بالامور الموجبة للكفر فان تخصيص الفاسق بالمسلم المقابل للعدل امرتعورف عليه فى لسان حملة الشرع. قال الراغب: والفسق اعم من الكفر ويقع بالقليل من الذنوب وبالكثير لكن تعورف فيما كانت كثيرة (٢)

٣ــ على تقديران يكون المراد بالفاسق المقابل للعدل فالمراد به فى الآية والله أعلم من ارتكب فى وقت ما ماينـافى العدالة سواء أصر عليه ام تاب عنه وانه يجب التبين من خبره حال اتصافه بالفسق والصحابة رضـوان الله تعـالى عليهم اجمعين ـ وان كانوا غير معصومين من الذنوب ــ الا انهم لايصرون عليها واذا تاب الإنسان رجعت اليه عدالته ولايحكم بفسقه على التابيد ــ فهذا ما عز الاسلمى الذى ارتكب

---

(١) التفسير الكبير ٧ ــ ٥٨٩ ــ (٢) المفردات ــ ٣٨٠

الفاحشة يقول فيه النبى ﷺ بعد ان امر برجمه ﴿لقد تاب توبة لوقسمت بين امة لوسعتهم﴾

حـد الوليد بن عقـبة فى الخمر

وأما حد الوليد فى الخمر فقد ثبت فى الصحيحين. أن عثمان حده بعد ما شهدت عليه الشهـود. هذا عن الحد وأما الشرب فان صح فليست الـذنـوب مسقـطة للعـدالة إذا وقعت منها التوبة لكن قد روى ماينفيه

قال الحافظ فى الاصابة ويقال ان بعض اهل الكوفة تعصبوا عليه فشهدوا عليه بغير الحق حكاه الطبرى.(١)

وقد اشار الى هذا العلامة ابن خلدون فقال: وما زالت الشناعات ــ اى على عمال عثمان من قبل المشاغبين ــ تنمو ورمى الوليد بن عقبة وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم.وحده عثمان وعزله (٢)

وما حكاه الطبرى ببعض تفصيل: ان ابناء لابى زينب وابى مورع وجندب بن زهير نقبوا على ابن الحيسمان داره وقتلوه فشهد عليهم بذلك ابو شريح الخزاعى الصحابى وابنه ــ وكان جارا لابن الحيسمان ــ فاقتص منهم الوليد فاخذ الاباء على انفسهم ان يكيدوا للوليد واخذوا يترقبون حركاته فنزل به ابو زبيد الشاعر ــ وكان نصرانيا من اخواله بنى تغلب واسلم على يدالوليد وكان الضيف متهما بشرب

---

(١) الاصابة ٣ـ ٦٣٨ ــ (٢) مقدمة ابن خلدون ٢١٥

الخمر ـــ فاخذ بعض السفهاء يتحدثون بذلك فى الوليد لملازمته ابازبيد ووجد ابو زينب وابو مورع خير فرصة يغتنمونها فسافرا الى المدينة وتقدما الى عثمان شاهدين على الوليد بشرب الخمر وانهما وجداه يقيء الخمر فقال عثمان: مايقيء الخمر الا شاربها، فجيء بالوليد من الكوفة فحلف لعثمان واخبره خبرهم فقال عثمان «نقيم حدود الله ويبوأ شاهد الزور بالنار فاصبر يااخى» (١)

قال محب الدين الخطيب: واما الزيادة التى وردت فى رواية مسلم من انه اتى بالوليد وقد صلى الصبح ركعتين ثم قال ازيدكم وفى بعض طرق احمد انه صلى اربعا. فلم تثبت فى شيء من شهادة الشهود فهى من كلام حضين الراوى للقصة ولم يكن حضين من الشهود ولم يروها عن شاهد ولا عن انسان معروف ولا كان فى الكوفة فى وقت الحادث المزعوم فلا اعتداد بهذا الجزء من كلامه (٢)

١١ـــ اسراف عثمان رضى الله تعالى عنه فى بيت المال

واما اسرافه فى بيت المال واعطائه اكثره لاقاربه فمختلق والذى ثبت من اعطائه اقاربه امور تعد من مناقبه لا من المثالب فيه

١ـــ ان عثمان رضى الله عنه كان ذاثروة عظيمة وكان وصولا للرحم(٣) يصلهم بصلات وفيرة فنقم عليه اولئك الاشرار انه انما كان

---

(١) الطبرى ٥ ـــ ٦٠ ـــ ٦١ ـــ ٦٢ وابن خلدون بقية الجزء الثانى ١٣٤

(٢) التعليقات ٩٧ ـــ (٣) انظر الاصابة ٢ ـــ ٤٦٢ ـــ ٤٦٣ ـــ

يصلهم من بيت المال، وعثمان قد اجاب عن موقفه هذا بقوله فيما روى عنه الطبرى: «وقالوا انى احب اهل بيتى واعطيهم فاما حبى لهم فانه لم يمل معهم على جور بل احمل الحقوق عليهم واما اعطائهم فانى انما اعطيهم من مالى ولااستحل اموال المسلمين لنفسى ولا لاحد من الناس وقد كنت اعطى العطية الكبيرة الرعية من صلب مالى ازمان رسول الله ﷺ وابى بكر وعمر وانا يومئذ شحيح حريص افحين اتت على اسنان اهل بيتى(١)وفنى عمرى وودعت الذى لى فى اهلى قال الملحدون ما قالوا» (٢)

قال الطبرى: وكان عثمان قد قسم ماله وارضه فى بنى امية وجعل ولده كبعض من يعطى فبدأ ببنى ابى العاص فاعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف عشرة آلاف فاخذوا مأة الف واعطى بنى عثمان مثل ذلك وقسم فى بنى العاص وفى بنى العيص وفى بنى الحرب.(٣)

فهذه النصوص وغيرها مما اشتهر عنه من تجهيزه جيش العسرة بما تقدم ذكره واشترائه بئررومة وتوسيعه المسجد النبوى من ماله وغير ذلك وما صح من الاحايث فى فضائله الجمة تدل على ان كل ما قيل فيه من اسرافه فى بيت المال وانفاق اكثره على نفسه واقاربه وقصوره فى حكايات بدون زمام ولاخطام يطول ذكرها مفترى عليه

(١) اى جاوزت اعمارهم فى النهاية وحديث عثمان «وجاوزت اسنان اهل بيتى» اى اعمارهم يقال فلان سن فلان اذا كان مثله فى السن وودعت بمعنى تركت وهو قليل الاستعمال ومنه حديث ﴿اتركوا الترك ما تركوكم ودعوا الحبشة ما ودعوكم﴾ (٢) الطبرى ٥ — ١٠٣ (٣) ٥ — ١٠٣

وبتسليم انه كان يؤثر اقاربه بالاموال الكثيرة من بيت المال فقد كان اجتهادا منه ولايعترض عليه به

قال تقي الدين ابن تيمية: ان سهم ذوى القربى ذهب بعض الفقهاء الى انه لقرابة الامام كما قاله الحسن وابو ثور وان النبى ﷺ كان يعطى اقاربه بحكم الولاية فذوى القربى فى حياة النبى ﷺ ذوى قرباه وبعد موته هم ذوى قربى من يتولى الامر بعده وذلك لان نصر ولى الامر والذب عنه متعين واقاربه ينصرونه ويذبون عنه ما لا يفعله غيرهم وقال: وبالجملة فعامة من تولى الامر بعد عمر كان يخص بعض اقاربه اما بولاية او بمال.(١)

وقال ان ما فعله عثمان فى المال له ثلاثة مآخذ، احدها انه عامل عليه والعامل يستحق مع الغنى، والثانى ان ذوى القربى هم ذوى قربى الامام، الثالث ان قرابة عثمان كانوا قبيلة كثيرة ليسوا مثل قبيلة ابى بكر وعمر فكان يحتاج الى اعطائهم وولايتهم اكثر من حاجة ابى بكر وعمر الى تولية اقاربهما واعطائهم وهذا مما نقل عن عثمان رضى الله تعالى عنه الاحتجاج به (٢)

٢ـــ جاء فى تاريخ الطبرى ان عثمان لما امر عبد الله بن سعد بن ابى سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له: ان فتح الله عليك افريقية فلك مما افاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلا، فخرج بجيشه حتى قطعوا ارض مصر واو غلوا فى ارض افريقية وفتحوها سهلها وجبلها وقسم عبد الله على الجند ما افاء الله عليهم

(١) منهاج السنة ٣ ـــ ١٨٧ ـــ ١٨٨ ـــ (٢) منهاج السنة ٣ ـــ ٢٣٧

واخذ خمس الخمس وبعث باربعة اخماسه الى عثمان مع ابن وثيمة النضرى فشكى وفد ممن كان معه الى عثمان ما اخذه عبد الله فقال لهم عثمان: انما امرت له بذلك فان سخطتم فهو رد قالوا انا نسخطه فامر عثمان عبد الله ان يرده فرده (١) وقد ثبت فى السنة تنفيل اهل الغناء والباس فى الجهاد

٣ــ وكان قد بقى من الاخماس والحيوان ما يشق حمله الى المدينة فاشتراه مروان بمأة الف درهم ونقدا اكثرها وبقيت منه بقية وسبق الى عثمان مبشرا بالفتح وكانت قلوب المسلمين فى غاية القلق خائفة ان يصيب المسلمين نكبة من امر افريقية فوهب له عثمان ما بقى جزاء بشارته، وللامام ان يعطى البشير ما يراه لائقا بتعبه وخطر بشارته، هذا هو الثابت فى عطية عثمان لمروان وماذكروه من اعطائه خمس افريقية فكذب (٢)

١٢ــ واما انهزامه يوم احد ومغيبه عن بدر وبيعة الرضوان فقد بين عبد الله بن عمر وجه الحكم فى شأنها وقد تقدم فى حديث البخارى فى فضائل عثمان

١٣ــ واما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بقتله الهرمزان وجفينة وبنتا صغـيرة لأبى لؤلؤة فأما جفينة فنصرانى وأما ابنة أبى لؤلؤة فأبوها مجوسى وأمها حالها مجهول فلم يتحقق إسلامها (٣).

واما الهرمزان فقد روى الطبرى ان عثمان استشار الصحابة فى امره فا ختلفوا عليه ــ ومعلوم ان اختلافهم عن اجتهاد ــ فاشار على بقتله

---

(١) الطبرى ٥ ــ ٤٩ ــ (٢) الصواعق ١١١ ــ (٣) الصواعق ١١٣

وقال بعض المهاجرين قتل امير المؤمنين بالامس ويقتل ابنه اليوم؟ وقال عمر بن العاص ان الله اعفاك ان يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان وانما كان ولاسلطان لك. قال عثمان انا وليه وقدجعلتها دية واحتملتها فى مالى (١)

وقيل إن الهـرمـزان سعى فى قتل عمر وأعطى الخنجر أبا لؤلؤة (٢) وجماعة من المجتهدين على أن الساعى يقتل كالمباشر (٣) على أن عبيد الله قتله متأولا والحدود تدرأ بالشبهـات.

وايضا فان احدا لم يقم بطلب القصاص روى الطبرى عن القماذبان بن الهرمزان قال: لما ولى عثمان دعانى فامكننى منه ثم قال: يا بنى هذا قاتل ابيك وانت اولى به منا فاذهب فاقتله فخرجت به وما فى الارض احد الا معى الا انهم يطلبون الىّ فيه فقلت لهم ألىّ قتله؟ قالوا نعم وسبوا عبيد الله فقلت : افلكم ان تمنعوه؟ قالوا لا وسبوه فتركته لله ولهم فاحتملونى فو الله ما بلغت المنزل الا على رؤس الرجال واكفهم (٤) ولعل قول عثمان السابق : انا وليهم الخ كان بعد ان عفى القماذبان عن عبيد الله .

١٤ـــ واما الكتاب فقد تقدم امره

---

(١) الطبرى ٥ ــ ٤١ ــ (٢) انظر الطبرى ٥ ــ ٤٣ ــ ٤٤

(٣) انظر الصواعق ١١٣ ــ (٤) الطبرى ٥ ــ ٤٤

وحشى والخمر

ممن توفى فى خلافة عثمان وحشى ابن حرب وهناك اخبار مذكورة فى كتب التاريخ تدل على ان وحشيا كان مولعا بشرب الخمر ومنها ما يدل على انه كان سكيرا مدمنا له وهذا لوثبت من اعظم انواع الفسق ويتنافى مع ما تقرر عند اهل السنة من عدالة الصحابة رضى الله تعا لى عنهم بدون استثناء

واليك جملة ما ورد فى هذا الامر من الاخبار

١ ــ قال ابن كثير:قال ابن هشام : فبلغنى ان وحشيا لم يزل يحد فى الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول : قد قلت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة (١)

٢ ــ قال ابن عبد البر : قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب :مات وحشى بن حرب فى الخمر فيما زعموا (٢)

٣ ــ حديث مقتل حمزة رضى الله تعا لى عنه المروى عن جعفر بن امية الضمرى قال خرجت انا وعبد الله بن عدى بن الخيار فمررنا بحمص وبها وحشى فقلنا لو اتيناه فسألناه عن قتله حمزة كيف قتله فاقبلنا نحوه فلقينا رجلا ونحن نسأل عنه فقال انه رجل قد غلبت عليه الخمر فان تجداه صاحيا تجداه رجلا عربيا يحدثكما ما شئتما من حديث

---

(١) البداية والنهاية ٣ ــ ١٩

(٢) الاستيعاب ٣ ــ ٦٤٥

وان تجداه على غير ذلك فانصرفا عنه قال ــ اى جعفر ــ فاقبلنا حتى انتهينا اليه وذكر تمام الحديث من سؤاله وحشيا عن قتله حمزة واخباره اياه عن كيفة قتله. هذه جملة ماورد فى هذا الامر من الاخبار. وهى كما ترى اخبار زيفة لايصح التعويل عليها ولا بناء حكم عليها بل يجب ردها لامور

١ ــ ان هذا الاخبار لم يثبت شىء منها بطريق صحيح

اما الخبران الاولان فليس لهما اى سند فكيف يصح التعويل عليهما وابن شهاب نفسه قد اشار الى عدم الاعتداد بما رواه من موت وحشى فى الخمر حيث قال فيما زعموا

واما حديث مقتل حمزة رضى الله تعالى عنه فقد رواه البخارى واحمد بدون زيادة قوله فلقينا رجلا الى قوله فانصرفا عنه وهذه الزيادة لم يروها الا ابن اسحاق[1] وابن اسحاق نفسه قد رواها عن رجل مجهول لايعلم من هو ولاكيف حاله فهى زيادة غير معتدبها فلذلك تركها البخارى واحمد

٢ ــ ان فى رواية البخارى لهذا الخبر رد لهذه الزيادة وذلك لان هذه الزيادة تقتضى فسق وحشى وضعف هذا الخبر المروى عنه وهذا يتنافى مع شرط البخارى

٣ ـ تقدم معنا فى المقدمة ان من المقرر عند المحققين ان كل ما عارض عدالة الصحابة مما لم يتبب بطريق صحيح يجب رده

(١) انظر الاستيعاب ٣ ــ ٦٤٥ والبداية والنهاية ٣ ــ ١٩ وفتح البارى ٧ ــ ١٩٦ وعمدة القارى ١٨ ــ ١٥٨

٤ ـــ تقدم ايضا ان من علامات وضع الحديث ان يكون منا فيا للنصوص الصحيحة والقوا عد المقررة وهذه الاخبار معارضة للنصوص الصحيحة الدالة على عدالة الصحابة ولما تقرر عند اهل السنة من ذلك

٥ ـــ ان هذه الاخبار لاتتفق مع ما صح عن وحشى مما يدل على اتصافه بالتورع والتحرج عن الاثام وخوفه عقباها حتى عقبى الامور التى صدرت عنه قبل اسلامه على الرغم مما يعلمه ان الاسلام يجب ما قبله

فالصحابى الذى لم يزل مصابا بوخز الضمير منذ اسلم من اجل قتـــــله حمزة رضى الله تعالى عنهما ولم يهدأ له بال حتى قتل مسيلمة ورأى أنه كافأ به حمزة رضى الله تعالى عنه كما روى البخارى واحمد عنه فى خبر مقتل حمزة انه قال: فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج مسيلمة الكذاب قلت لاخرج الى مسيلمة لعلى أكافىء به حمزة، كيف يظن بهذا الصحابى انه تحول فيما بعد الى سكير مدمن للخمر وكيف ينتظر منه انه مات فى الخمر هذا والله لا يرتضيه عقل سليم. والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل الرابع فى امير المؤمنين على بن أبى طالب

فضائل على رضى الله تعالى عنه

١ـــ عن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلىّ ﴿انت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى﴾ متفق عليه

٢ـــ عن زر بن حبيش رضى الله عنه قال: قال على رضى الله عنه «والذى فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبى الامى ﷺ الى ان لايحبنى الا مؤمن ولا يبغضنى الا منافق» رواه مسلم

٣ـــ عن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال: ﴿ان عليا منى وانا منه وهو ولى كل مؤمن﴾ رواه الترمذى

٤ ـــ عن زيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه ان النبي ﷺ قال: ﴿من كنت مولاه فعلى مولاه﴾ رواه احمد والترمذى والنسائى وابن ماجه والضياء وعده بعض الحفاظ من الاحاديث المتواترة

٥ـــ عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال: آخى رسول الله ﷺ بين اصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال: آخيت بين اصحابك ولم تؤاخى بينى وبين احد فقال رسول الله ﷺ له: ﴿انت اخى فى الدنيا والآخرة﴾ رواه الترمذى وقال حديث حسن

٦ـــ عن على رضى الله تعالى عنه قال: قال لى ﴿فيك مثل من عيسى ابغضته اليهود حتى بهتوا امه

حتى انزلوه بالمنزلة التي ليست له ثم قال يهلك فى رجلان محب مفرط يقرظنى بما ليس فى ومبغض يحمله شنئآنى على ان يبهتنى﴾ رواه عبد الله بن احمد والبزار وابو يعلى والحاكم

٧ــ عن زيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ لما نزل بغدير خم اخذ بيد على فقال: ﴿الستم تعلمون انى اولى بالمؤمنين من انفسهم﴾ قالوا بلى قال: ﴿الستم تعلمون انى اولى بكل مؤمن من نفسه﴾ قالوا بلى فقال: ﴿اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه﴾ فلقيه عمر بعد ذلك فقال له هنيئا يا ابن ابى طالب اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة* رواه احمد والترمذى والنسائى .. وفى الصواعق انه حديث صحيح لامرية فيه

الكلام على بعض هذه الاحاديث

معنى قوله ﷺ ﴿انت منى بمنزلة هارون من موسى﴾ ما جاء فى بعض الروايات ان النبى ﷺ قال لعلى حينما استخلفه على المدينة فى غزوة تبوك ﴿انما خلفتك لما ورائى فارجع فاخلفنى فى اهلى واهلك﴾ وهذا كما قال موسى لهارون عليهما الصلاة والسلام لما ذهب لميقات ربه للمناجاة ﴿اخلفنى فى قومى﴾ ولادليل فى هذا الحديث على ان الخلافة كانت لعلى بعد رسول الله ﷺ فان الخلافة على المدينة والاهل فى حياته لاتقتضى الخلافة فى الامة بعد مماته، والمقايسة التى

تمسك بها تنتقض بموت هارون قبل موسى. وانما يستدل بالحديث على قرب منزلته واختصاصه بالمواخاة من قبل النبى ﷺ.١

وكذا لادليل فى احاديث الموالاة على ان عليا هو الأوْلى بالخلافة بعد رسول الله ﷺ وذلك بناء على ان المولى بمعنى الاولى، فان المولى ياتى بمعان كثيرة ليس منها الاولى،

قال اهل السنة ان المولى بمعنى المحبوب ويدل عليه مقابلته بالمعاداة فى قوله ﷺ فى آخر الحديث ﴿اللهم وال من والاه وعاد من عاداه﴾ وكذا يدل على ذلك سبب ورود الحديث فقد روى الذهبى وصححه كما فى شرح المشكاة ان الحديث ورد ردا على بريدة وكان قد صحب عليا الى اليمن ولقى منه جفوة فلما رجع تكلم فيه عند النبى ﷺ فرد النبى ﷺعليه بهذا الكلام

ولو سلم انه بمعنى الاولى فالمراد به فى المأل والا لزم ان يكون هو الامام مع وجود النبى ﷺ فتعين ان يكون المقصود منه كما قال العلماء حين يوجد عقد البيعة له فلاينا فيه تقديم الخلفاء الثلاثة عليه لأنعقاد اجماع من يعتد به عليه حتى من على

ثم لايخفى ما فى سكوت على رضى الله عنه عن الاحتجاج باحاديث الموالاة على احقيته بالخلافة من انه رضى الله تعالى عنه علم منها انه لانص فيها على خلافته عقب وفاته ﷺ ولا إشارة،

(١) انـظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي القارى ٥ ـ ٥٦٣ ـ ٥٦٤ والصواعق ٤٧ .

مع ان عليا كرم الله وجهه صرح نفسه بانه ﷺ
ولا على غيره كما فى حديث البخارى ان النبى ﷺ
العباس لعلى «انى ارى الموت فى وجوه بنى عبد المط
نسأل رسول الله ﷺ فان كان هذا الامر فينا علمناه
والله لأن سألناه رسول الله ﷺ فمعناها لا يعطيناها الناس
لا اسألها رسول الله ﷺ » وغيره من الأحاديث الص
فى ذلك. (١)

المامة سريعة بحياة أبى الحسن على بن رضى الله عنه

قال الحافظ فى الاصابة: كان اول الناس اسلاما ف
اهل العلم ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح
النبى ﷺ ولم يفارقه وشهد معه المشاهد الا غزوة
بسبب تاخيره له فى المدينة ﴿الا ترضى ان تكون منى
من موسى﴾ وزوجه بنته فاطمة، وكان اللواء بيده فى
ومنا قبه كثيرة حتى قال الامام احمد لم ينقل لاحد ،
نقل لعلى، وقد ولد له الرافضة مناقب موضوعة هو

(١) انظر الصواعق ٤٠ ــ ٤٧ والمشكاة ٥ــ ٥٦٧ ــ ٥٦٨.

وكان احد رجال الشورى الذين نص عليهم عمر فعرضها عليه عبد الرحمن بن عوف وشرط عليه شروطا امتنع من بعضها فعدل عنه الى عثمان فقبلها فولاه وسلم على وبايع عثمان ولم يزل بعد النبى ﷺ متصديا لنشر العلم والفتيا فلما قتل عثمان بايعه الناس

ثم كان من قيام جماعة من الصحابة منهم طلحة والزبير وعائشة فى طلب دم عثمان فكان من وقعة الجمل ما اشتهر،

ثم قام معاوية فى اهل الشام وكان اميرها لعثمان ولعمر من قبله فدعى الى الطلب بدم عثمان فكان من وقعة الصفين ما كان

وكان راى على انهم يدخلون فى الطاعة ثم يقوم ولى دم عثمان فيدعى به عنده ثم يعمل معه بماتوجبه حكم الشريعة المطهرة

وكان من خالفه يقول له تتبعهم واقتلهم فيرى ان القصاص بغير دعوى ولا اقامة بينة لا يتجه وكل من الفريقين مجتهد وكان من الصحابة فريق لم يدخل فى القتال، وظهر بقتل عمار ان الصواب كان مع على واتفق على ذلك اهل السنة بعد اختلاف كان فى القديم ولله الحمد. (١)

السكوت عما شجر بين اصحاب رسول الله ﷺ

١ــ عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿اذا ذكر اصحابى فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا

(١) الاصابة ٢ــ ٥٠٧ ــ ٥٠٨

ذكرت النجوم فامسكوا﴾ رواه الطبرانى وفى سنده مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح

٢ـــ عن عياض الانصارى وكانت له صحبة ان النبى ﷺ قال: ﴿احفظونى فى اصحابى واصهارى فمن حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه اوشك ان ياخذه﴾ رواه الطبرانى وفيه ضعفاء جدا وقد وثقوا ورواه الامام احمد بن منيع

٣ـــ عن يزيد بن الاصم قال: قال على رضى الله تعالى عنه «قتلاى وقتلى معاوية فى الجنة» رواه الطبرانى ورجاله وثقوا

٤ـــ عن طارق بن اشيم رضى الله تعالى عنه انه سمع النبى ﷺ يقول ﴿بحسب اصحابى القتل﴾ رواه احمد والطبرانى باسانيد والبزار ورجال احمد رجال الصحيح

٥ـــ عن ابى راشد قال جاء رجال من اهل البصرة عتبة بن عمير يسألونه عن علي وعثمان فقال: وما اقدمكم شيء غيرهذا، قالوا نعم، قال: ﴿تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ رواه الطبرانى ورجاله ثقات

٦ـــ عن طارق بن شهاب ان خالد بن الوليد كان بينه وبين سعد بن ابى وقاص كلام فذكر خالد عند سعد فقال: مه فان ما بيننا لم يبلغ ديننا★ رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

٧ـــ عن عروةبن الزبيران عليا بن ابى طالب لقىالزبير فى السوق فتعاتبا فى شىءمن امر عثمان ثم اغلظ له عبد الله بن الزبير فقال له على الا تسمع ما يقول لى فضربه الزبير حتى وقع ★ رواه الطبرانى

وفيه رجل متروك .[1]

٨ ــ اخرج ابن ابى شيبة بسنده ان عليا كرم الله وجهه سئل يوم الجمل عن اهل الجمل المقاتلين له امشركون هم فقال : من الشرك فروا، قيل امنافقون هم . قال : ان المنا فقين لايذكرون الله الا قليلا ، قيل فما هم قال : اخواننا بغوا علينا «[2]

٩ ــ نقل الطبرى وغيره ان عليا رضي الله تعا لى عنه سئل عن قتلى الجمل وصفين فقال « والذى نفسي بيده لايموتن احد من هؤلاء وقلبه تقى الا دخل الجنة» يشير الى الفريقين «[3]

١٠ ــ عن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه انه قال لمن سأله عما جرى بين على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما « تلك دماء طهر الله منها ايدينا فلا نخوض فيها بألسنتنا «

وجوب الامساك عما شجر بين الصحابة ليس على اطلاقه

هذه الاحادث والآثار وغيرها مما تقدم بعضه فى فصل فضائل الصحابة تدل على وجوب الامساك عما شجر بين الصحابة ،وقد صرح بذلك أئمتنا فى كتب اصول الدين الا ان هذا ليس على اطلاقه

---

(١) نقلنا هذه الاحاديث واعتمدنا فى تخريجها على مجمع الزوائد للحافظ نور الدين الهيثمي بتحرير الحافظين الجليلين العراق والعسقلاني ولم يزل الكتاب عمدة العلماء منذ ظهر الى الآن

(٢)تطهير الجنان ٣٦ ــ (٣) مقدمة ابن خلدون ٢١٥

كما قالـه العلماء بل إذا كان على سبيل التحامل والتنقيص لبعضهم، قال العلامة ابن حجر الهيثمى فى تطهير الجنان.

تنبيه . صرح أئمتنا وغيرهم فى الاصول بأنه يجب الامساك عما شجر بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم ولا يشكل على ذلك كما هو واضح ذكر السلف والخلف جميع ما وقع بينهم وبيان ما صح منه مما لم يصح والكلام على معانى ما وقع لهم فى فتنهم وحروبهم مما ظواهره مشكلة واستنباطهم احكام البغاة وغيرهم مما وقع بينهم ، وعن الشافعى رضى الله تعالى عنه انه قال: اخذت احكام البغاة والخوارج من مقاتلة على لاهل الجمل وصفين وللخوارج، وكذا غير الشافعى رضى الله تعالى عنه، وقد ذكر ائمتنا من الاصوليين وغيرهم شبه المبتدعة التى اخذوها تارة عن كذبهم على على واصحابه وتارة عن بقية الصحابة ثم ردوها عن اخرها حتى لم يبق لهم شبهة يستندون اليها ولا حجة يعتمدون عليها، وبين ائمتنا المحدثون ان كثيرا مما نقل عنهم اما كذب او فى سنده علة او علل

انما المراد انه لا يجوز لاحد ان يذكر شيئا مما وقع بينهم يستدل به على نقص من وقع له ذلك والطعن فى ولايته الصحيحة او ليغرى العوام على سبهم وثلبهم ونحو ذلك من المفاسد،ولم يقع ذلك الا للمبتدعة وبعض جهلة النقلة الذين ينقلون كل ما رأوه ويتركونه على ظاهره غير طاعنين فى سنده ولا مشيرين لتأويله وهذا شديد التحريم لما فيه من الفسادالعظيم وهوإغراء العامة ومن فى حكمهم على تنقيص أصحاب رسول الله ﷺ الذين لم يقم الدين إلا بنقلهم إلينا كتاب الله وماسمعوه وشاهدوه من نبيه من سنته الغراءالواضحة البيضاء،

ومابينوه من الأحكام التى لايحيط بهاسواهم لتميزهم بالبرهان والعيان فرضى الله عنهم وارضاهم وجزاهم عن الأسلام والمسلمين خيرالجزاء

وبالجملة أماذكره لبيان الحق فيه على مقتضى الواقع بحسب ماقضت به الأدلة وإجرائه على قواعد أهل السنة فهو من أكد الواجبات واجل الطلبات لانه يعلم به نزاهتهم وبراءتهم. (١)

بيعة على رضى الله تعالى عنه

قال ابن كثير: فلما قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على المشهور عدل الناس الى على فبا يعوه قبل ان يدفن عثمان وقيل بعد دفنه، وقد امتنع على من اجابتهم الى قبول الامارة حتى تكرر قولهم له وفر منهم الى حائط بنى عمر بن مبذول، وأغلق بابه فجاء الناس فطرقواالباب وولجواعليه وجائوامعهم بطلحة والزبير فقالوا له: ان هذا الامر لايمكن بقائه بلا امير ولم يزالوا به حتى اجاب وخرج على الى المسجد فبايعه عامة الناس. (٢)

وقال ابن العربي: ولولا الاسراع بعقد البيعة لعلى لجرى على من بها — المدينة — من الاوباش ما لا يرقع خرقه ولكن عزم عليه المهاجرون والانصار ورأى ذلك فرضا عليه فانقاد اليه. (٣)

---

(١) تطهير الجنان ٣١— ٣٢ — (٢) البداية والنهاية ٧ — ٢٢٦

(٣) العواصم ١٤٢ —

قال ابن كثير: ويقال ان اول من بايعه طلحة بيده اليمنى وكانت شلاء من يوم احد لما وقى بها رسول الله ﷺ فقال بعض القوم: والله ان هذا الامر لايتم [1] قال ابن العربى: لو صح فلا متعلق لهم به فان يداشلت فى وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل امر ويتوقى بها من كل مكروه. [2]

ويقال ان طلحة والزبير بايعا مكرهين ويروى عن كل منهما انه قال : بايعت وسيف علىّ على عنقى قال ابن العربى هذا كذب حاشا لله أن يكرها لهما ولمن بايعهما ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك لأن واحدا أو اثنين تنعقد البيعة بدونهما وتتم ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له وهو مكره على ذلك شرعا ولو لم يبايعا لم يؤثر ذلك فيهما ولا فى بيعة الإمام . [3]

الخلاف بين امير المؤمنين على وبين معاوية ووجهة نظر كل منهما

وبعد ان تمت لعلى البيعة فى المدينة رأى ان بيعته قد انعقدت ولزمت من تأخر عنها باجتماع من اجتمع عليها فى المدينة دار النبى ﷺ وموطن الصحابة رضى الله تعالى عنهم وارجأ المطالبة بدم عثمان الى امر ين

---

(١) البداية والنهاية ٧ــ ٢٢٦ (٢) العواصم ١٤٤ ــ (٣) وايضا ١٤٣ــ ١٤

١ــ الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة حتى يتمكنوا من ذلك علما منه ان المطالبة على الفور مع كثرة الثوار وكثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكره يؤدى الى اضطراب وتزلزل فى امر الخلافة التى بها انتظام كلمة الاسلام كيف وقد كان بيدهم زمام الحكم فى المدينة عند البيعة له ولم يكن فى استطاعة على ولا غيره حينئذ ولا بعد ان صاروا فى بصرتهم وكوفتهم ومعقل قوتهم ان يطالبهم بدم عثمان ولكنه كان يتربص بهم الدوائر فما ان ارادان يتفق مع اصحاب الجمل حتى اعلن البراءة منهم وكثير منهم انقلب عليه بعد ذلك وخرجوا عليه معتقدين كفره

٢ــ الى قيام ولى دم عثمان بعد ذلك بالدعوى عنده ثم يحكم بما توجبه الشريعة المطهرة فان الهجوم على الحكم بما كان من قول مطلق او فعل غير محقق او سماع كلام بدون دعوى من الولى ولاجواب من المدعى عليه ولاقيام بينة ليس فى الاسلام

ومعاوية نفسه لما صار اليه الامر لم يمكنه ان يفعل الاما كان علىّ يراه فى بادىء الامر ولم يمكنه ان يقتل من قتلة عثمان احدا بغير حكم حتى جاء المختار وتتبعهم وقتلهم واحدا بعد واحد بالظنة

وقيل ان عدم تسليم على قتلة عثمان رضى الله تعالى عنهما لانه كان يراهم بغاة اتوا ما اتوا عن تاويل، وحكم الباغى اذا انقاد الى الامام العدل ان لايؤاخذ بما اتلفه من الدماء والاموال وهذا خطأ والصواب انهم ليسوا بغاة وانماهم ظلمة عتاة لعدم الاعتداد بشبهتهم فليس كل من انتحل شبهة صار مجتهدا اذ الشبهة تعرض للقاصر عن درجة الاجتهاد. ولانهم اصروا على الباطل بعد كشف الشبهة، ولانهم

قتلوا عثمان بدون مقاتلة منه فهم قتلة لامقاتلة، ولان عليا اتفق مع طلحة والزبير رضى الله تعالى عنهم على قتلهم فاسرعوا الى انشاب القتال فكانت وقعة الجمل كما سيأتى

فلما رأى على ان بيعته قد تمت ولى على الامصار عماله فامتنع بعض اهل الامصار عن البيعة للنواب وقالوا لانبايع حتى نقتل قتلة عثمان رضىالله تعالى عنه

وكـذلـك امتنـع معـاوية عن المبـايعـة لانـزاعـا لعـلى فى الخلافة فان احدا لم ينقل عنه ذلك ولكنه رأى فى آخرين معه كعمرو بن العاص ان بيعة على لم تنعقد لافتراق الصحابة اهل الحل والعقد فى الافاق ولم يحضر منهم الا القليل ولاتكون البيعه الا باتفاق اهل الحل والعقد ولاتلزم بعقد من تولاها من غير هم اومن القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضى فيطالبون اولا بدم عثمان ثم يجتمعون على امام ورأوا ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالأئمة وبتعريض الدماء للسفك

فلما كان ما كان انتشرت الكلمة وتفاقم الامر ومن الطبيعى ان يرى علىّ الخارجين عن طاعته بغاة يجب قتالهم توحيدا لكلمة المسلمين التى هى آكد واجبات الامام ومقدمة على اعماله كلها فعزم علىّ رضى الله تعالى عنه على قتال اهل الشام فبينما هو مزمع على الخروج الى الشام اذ جاءه ما يشغله عن ذلك وهو نبأ خروج ام المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضى الله تعالى عنهم الى البصرة

وقعة الجمل

حينماوقع قتل عثمان بعد ايام التشريق كانتامهات المؤمنين ازواج النبى ﷺ قد خرجن الى الحج فى هذا العام فرارا من الفتنة فلما بلغ الناس ان عثمان قد قتل وكن قد خرجن من مكة رجعن اليها وجعلن ينتظرن ما ذا يصنع الناس ويتحسسن الاخبار وبعد ان بويع على استأذنه طلحة والزبير فى الإعتمار فاذن لهمافخرجا الى مكة وتبعهما خلق كثير وجم غفير ولقيا عائشة واتفقا معها فى الخروج الى البصرة

وبعد اتفاق العلماء على انهم لم يخرجوا نزاعا لعلى رضى الله تعالى عنه فى الخلافة ولم يدعوا الى احد منهم ليولوه الخلافة فان ذلك لم ينقل عن احد منهم كما نقله فى فتح البارى عن المهلب (١) اختلفوا فى انهم على اى شىء اتفقوا.

المشهور انهم اتفقوا على الطلب بدم عثمان حتى يقتلوا قتلته وهو الذى ثبت فى كثير من الروايات وضعفه ابن العربى بان الاصل قبله تاليف الكلمة ورجح ان خروجهم كان لجمع طوائف المسلمين وضم نشرهم وردهم الى قانون موحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا وقال وهذا هو الصحيح لا شىء سواه وبذلك وردت صحاح الاخبار. (٢)

ثم قال: فخرج طلحة والزبير وعائشة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنهم رجاء ان يرجع الناس الى امهم فيرعوا حرمة نبيهم واحتجوا عليها بقوله تعالى ﴿لاخير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف

---

(١) فتح البارى ١٣ ــ ٤٦ ــ (٢) العواصم ١٥١ ــ ١٥٢

او اصلاح بين الناس﴾ (١) وقد خرج النبى ﷺ فى الصلح وارسل فيه ورجت المثوبة واغتنمت الفرصة وخرجت حتى بلغت الاقضية مقاديرها.(٢)

ويؤيد ما اختاره ما روى عن قيس بن حازم ان عائشة رضى الله تعالى عنها نزلت ببعض مياه بنى عامر فنبحت عليها الكلاب فقالت اى ماء هو قالوا الحوئب قالت ما اظننى الاراجعة سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿كيف باحد يكن تنبح عليها كلاب الحوئب﴾ فقال لها بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم.

والذى يجمع بين الاخبار ويضم نشرها ان يقال انهم خرجوا لضم نشر المسلمين وتاليف كلمتهم ثم الطلب بدم عثمان وقتل قتلته

وما يقال: انهم خرجوا خلعا منهم لعلى فباطل كما قال ابن العربى قال: لان الخلع لايكون الا بالنظر من الجميع فيمكن ان يولى واحد واثنان ولا يكون الخلع الا بعد الاثبات والبيان (٣)

---

(١) النساء ١١٤ (٢) العواصم ١٥٢

(٣) قال الحافظ العسقلانى فى فتح البارى ١٣ـــ ٤٥ اخرجه احمد وابويعلى والبزار وصححه ابن حبان والحاكم وشرطه على شرط الصحيح وهى عند احمد فقال لها الزبير تقدمين فذكره.وقال الحافظ الهيثمى رجال احمد رجال الصحيح انتهى

وهذه هى الرواية لهذا الحديث وما يروى انه شهد طلحة والزبير وخمسون رجلا اليهم انه ليس هذا ماء الحوئب وكانت اول شهادة زور دارت فى الاسلام فشهادة زور على اصحاب رسول الله ﷺ كما قاله ابن العربى فى العواصم ١٥١

خروج اصحاب الجمل الى البصرة

قال القاضى ابوبكر: فلما خرجوا احس بهم اهل البصرة فحرض من كان بها من المؤلبين على عثمان الناس وقالوا اخرجوا اليهم حتى تروا ما جاءوا اليه فبعث عثمان بن حنيف اميرالبصرة من قبل على حكيم بن جبلة فلقى طلحة والزبير فى الزابوقة فقتل حكيم ولو خرج مسلما مستسلما لا مدا فعا لما اصابه شىء واى خير كان له فى المدافعة وعن اى شىء كان يدافع وهم ما جاءوا مقاتلين ولا ولاة وانما جاءوا ساعين فى الصلح راغبين فى تأليف الكلمة فمن خرج إليهم ودافعهم وقاتلهم دافعوا عن مقصدهم كما يفعل فى سائر الأسفار والمقاصد فلما وصلوا الى البصرة تلقاهم الناس بأعلى المربد مجتمعين حتى لورمى حجر ما وقع الاعلى رأس انسان فتكلم طلحة وتكلم الزبير وتكلمت عائشة رضى الله تعالى عنهم وكثر اللغط وطلحة يقول انصتوا فجعلوا يركبونه ولايتنصتون فقال اف: فراش نار وذباب طمع وانقلبوا على غير بيان وانحدروا الى بنى نهد فرماهم الناس بالحجارة حتى نزلوا الجبل

والتقى طلحة والزبير وعثمان بن حنيف عامل علىّ على البصرة وكتبوا بينهم ان يكفوا عن القتال ولعثمان دار الامارة والمسجد وبيت المال وان ينزل طلحة والزبير من البصرة حيث شاءوا ولا يعرض بعضهم لبعض حتى يقدم علىّ

وروى ان حكيم بن جبلة عارضهم حينئذ فقتل بعد الصلح.[1]

---

(١) العواصم ١٥٢ ــ ١٥٦ ــ

خروج عليّ رضى الله تعالى عنه الى البصرة

واما على كرم الله وجهه فرأى ان خروجهم كان نقضا لإمارته قال ابن خلدون: ولما جاء خبر مكة الى على قام فى الناس وقال: الا ان طلحة والزبير وعائشة رضى الله تعالى عنهم قد تما لئوا على نقض امارة ودعوا الناس الى الاصلاح وساصبر ما لم اخف على جماعتكم واكف ان كفوا واقتصد نحوهم (١) طالبا للاصطلاح والاتفاق معهم كما يدل عليه كلامه هذا وكما نقله عنه ابن كثير (٢) حتى قدموا البصرة فقام الصحابى الجليل القعقاع بن عمروالتميمى بمهمة الوساطة الحكيمة بين الفريقين واستجابوا له واتفقوا على الاقتصاص من قتلة عثمان فاطمأنت النفوس وباتوا بخير ليلة لم يبيتوا بمثلها وبات الذين اثاروا امر عثمان وفيهم ابن سبأ بشر ليلة باتوها قط قد اشرفوا على الهلكة وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على انشاب الحرب فى السر واستسروا بذلك خشية ان يفطن بما حاولوا من الشر فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم وانسلوا الى ذلك انسلالا. (٣)

قال ابن العربى وقدموا على البصرة وتدانوا ليترائوا فلم يتركهم اصحاب الاهواء وبادروا باراقة الدماء واشتجر الحرب وكثرت الغوغاء على البوغاء كل ذلك كى لايقع البرهان ولا يقف الحال على بيان ويخفى قتلة عثمان وان واحدا فى الجيش يفسد تدبيره فكيف

---

(١) بقية الجزء الثانى ١٥٣ — (٢) البداية والنهاية ٧ — ٢٣٥

(٣) انظر الطبرى ٥ — ٢٠٢ — ٢٠٣ والبداية والنهاية ٧ — ٢٣٨ — ٢٤٠

بالف. (١)

وقال تقى الدين ابن تيمية: اهل العلم يعلمون ان طلحة والزبير لم يكونا قاصدى قتال على ابتداء ولا كان علىّ قاصدا قتالهم ولكن حرب الجمل بغير اختياره ولا اختيارهم فانهم كانوا قد اتفقوا على المصلحة واقامةالحدود على قتلة عثمان فتواطأت القتلة الذين كانوا فى جيش علىّ على اقامة الفتنة آخرا كما اقاموها اولا فحملوا على طلحة والزبير واصحابهما فحملوا دفاعا عن انفسهم واشعروا عليا انما حملوا عليهم فحمل علىّ دفاعا عن نفسه وكان كل منهما قصده دفع الصيال لا ابتداء القتال هكذا ذكره غير واحد من اهل العلم بالسير. (٢)

وقتل فى هذه الوقعة طلحة ولم يعلم قاتله وقيل ان الذى قتله هو مروان قال ابن العربى : ومن يعلم هذا الا علام الغيوب ولم ينقله ثبت. (٣)

وانهزم اصحاب الجمل ورد علىّ عائشة رضى الله تعالى عنهما الى المدينة تصديقا لقوله ﷺ لعلى ﴿ انه سيكون بينك وبين عائشة امر قال انا يا رسول الله ﷺ قال نعم قال انا اشقاها يا رسول الله قال لا ولكن اذا كان ذلك اردها الى مأمنها ﴾ قال الهيثمى رواه احمد والطبرانى ورجاله ثقات

وعن ابى جرير المازنى قال شهدت عليا والزبير حين توافقا فقال له على يا زبير انشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ انك

---

(١) العواصم ١٥٧ — (٢) منهاج السنة ٢ — ١٨٥ و ٣ — ٢٢٥ — (٣) العواصم ١٥٧ — ١٥٨

تقاتله وانت ظالم ﴾ قال نعم ولم اذكر الا فى موقفى هذا وانصرف * قال الهيثمى رواه ابو يعلى وفيه عبد الملك بن مسلم لم يصح حديثه

وعن محمد بن قيس قال ذكر لعائشة يوم الجمل قالت والناس يقولون يوم الجمل ؟ قالوا نعم قالت وددت انى كنت جلست كما جلس اصحابى وكان احب الى ان اكون ولدت من رسول الله ﷺ بضع عشرة كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن الهشام ومثل عبد الله بن الزبير * قال الهيثمى رواه الطبرانى وفيه ابو معشر نجيح وهو ضعيف يكتب حديثه وبقية رجاله ثقات.

وقعة صفين

لما انتهى على رضى الله تعالى عنه من وقعة الجمل وسار من البصرة الى الكوفة فدخلها يوم الاثنين ١٢ من رجب ارسل جرير بن عبد الله البجلى الى معاوية فى دمشق يدعوه الى طاعته فجمع معاوية رؤس الصحابة وقادة الجيوش واعيان اهل الشام واستشارهم فيما يطلب على فقالوا لانبايعه حتى يقتل قتلة عثمان اويسلمهم الينا فرجع جرير الى على رضى الله تعالى عنه بذلك فاستخلف على علي الكوفة ابا مسعود عقبة بن عامر وخرج منها فعسكر بالنخيلة ـــ اول طريق الشام من العراق ـــ وقد أشار عليه أناس أن يبقى بالكوفة ويبعث غيره الى الشام فابى وبلغ معاوية ان عليا تجهز وخرج بنفسه الى قتاله فاشار عليه رجال ان يخرج هو ايضا بنفسه فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صفين

ـــ على وزن سيحين موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات ـــ وتقدم عليّ بجيوشه إلى تلك الجهة وبدأ القتال فى ذى الحجة سنة ٣٦ بمناوشات ومبـــارزات ثم تهادنـــوا فى محرم سنـــة ٣٧ واستـؤنـف القتـــال بعـــده

وامتازت هذه الحرب بنبل الشجاعة فى القتال ونبل التعامل والاتصال عند التهادن والراحة وقتل فيها عمار وكان مع على وبقتله تبين خطأ معاوية فقد قال النبى ﷺ لعمار ﴿تقتلك الفئة الباغية﴾ رواه البخارى

وقال الحافظ العسقلانى: تواترت الاحاديث عن النبى ﷺ ان عمار تقتله الفئة الباغية واتفقوا على انه قتل مع على فى صفين.(١)

ثم اتفق الفريقان على التحكيم فكان من جهة على ابوموسى الاشعرى ومن جهة معاوية عمرو بن العاص وكتب كتاب التحكيم ١٣ صفر سنة ٣٧ على ان يعلن الحكمان حكمهما فى رمضان بدومة الجندل بمكان منها يسمى اذرح

قال القاضى ابوبكر هذه امور جرت على رسم النزاع ولم تخرج عن طريق من طرق الفقه ولا عدت سبيل الاجتهاد الذى يؤجر فيه المصيب عشرة والمخطأ اجرا واحدا.(٢) وقال وما وقع من روايات فى كتب التاريخ فى تفصيل ذلك من كلمات آلت الى استفعال رسائل واستخراج اقوال وانشاد اشعار وضرب امثال تخرج عن سيرة السلف ويقرها الخلف فلا تلتفت الى حرف منها فانها كلها باطلة.(٣)

---

(١) الاصابة ٢ ـــ ٥١٣ ـــ

(٢) العواصم ١٧١ـــ

(٣) وايضا ١٦٣

تحقيق الكلام فى امر التحكيم

ونانى فى هذا الفصل على اخر كلام الامام القاضى ابى بكر ابن العربى فلقد اجاد فيه كما هو دأبه ايما اجادة فرحمه الله من علامة بحاثة محقق ونقادة بصير مؤنق قال رضى الله عنه وجزاه عن اصحاب محمد ﷺ خير الجزاء

وقد تحكم الناس فى التحكيم فقالوا فيه ما لايرضاه الله واذا لحظتموه بعين المروءة دون الديانة رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها فى الكتب فى الاكثر عدم دين وفى الاقل جهل متين

والذى يصح من ذلك ماروواه الائمة كخليفة بن خياط والدار قطنى : انه لما خرجت الطائفة العراقية فى مأة الف والشامية فى سبعين الف اوتسعين الفا ونزلوا على الفرات بصفين اقتتلوا فى اول يوم وهو الثلاثاء على الماء فغلب أهل العراق عليه ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت ورفعت المصاحف من اهل الشام ودعوا الى الصلح واتفقوا على ان يجعل كل طائفة امرها الى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين با لحق فكان من جهة على ابو موسى ومن جهة معاوية عمرو ابن العاص

وكان ابو موسى رجلا تقيا ثقفا فقيها عالما ارسله النبى ﷺ الى اليمن مع معاذ وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم وزعمت بعض المصادر التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأى مخدوعا فى القول وأن ابن العاص كان ذا دهاء وارب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيدا لما أرادت من الفساد

اتبع فی ذلك بعض الجهال بعضا وصنفوا فيه حكايات وغيره من الصحابة كان احذق منه وادهى وانما بنوا ذلك على ان عمرا لما غدر ابا موسى فی قصة التحكيم صار له الذكر فی الدهاء والمكر

وقالوا لما اجتمعا باذرح من دومة الجندل وتفاوضا اتفقا على ان يخلعا الرجلين فقال عمرو لابی موسى اسبق بالقول فقال انی نظرت فخلعت عليا من الامر وينظر المسلمون لانفسهم كما خلعت سيفی هذا من عنقی او عاتقی واخرجه من عنقه ووضعه فی الارض وقام عمرو ووضع سيفه فی الارض وقال انی نظرت فأثبت معاوية فی الامر كما اثبت سيفی هذا فی عاتقی وتقلده فانكر ابو موسى فقال عمرو كذالك اتفقنا وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف

قال القاضی ابو بكر: هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط وانما هو شیء اخبر عنه المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك فتوارثه اهل المجانة والجهارة بمعاصی الله والبدع

وانما الذي روى الائمة الثقات الاثبات انهما لما اجتمعا للنظر فی الامر فی عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه عزل عمرو معاوية

ذكر الدار قطنی بسنده الى حضين بن المنذر لما عزل عمرو معاوية جاء ای حضين فضرب فسطاطه قريبا من فسطاط معاوية فبلغ نبأه معاوية فارسل اليه فقال: انه بلغنی عن هذا ــ ای عن عمرو بن العاص ــ كذا وكذا فاذهب فأنظر ما هذا الذی بلغنی عنه فاتيته فقلت اخبرنی عن الامر الذی وليت انت وابو موسى كيف صنعتما فيه قال ــ ای عمرو ــ لقد قال الناس فی ذلك ما قالوا والله ما كان الامر على ما قالوا ولكن قلت لابی موسى ما ترى فی هذا الامر

قال ارى انه فى النفر الذين توفى رسو ل الله ﷺ وهو عنهم راض.
قلت: فاين تجعلنى انا ومعاوية فقال: ان يستعن بكما ففيكما معونة وان يستغن عنكما فطا لما استغنى عنكما امر الله قال حضين: فكانت هى التى فتل معاوية منها نفسه فاتيته فاخبرته — اى اتى حضين معاوية فاخبره — ان الذى بلغه عنه كما بلغه — اى ان الذى بلغ معاوية من اتفاق عمرو مع ابى موسى على عزله هو كما بلغه — وأنهما رأيا ان يرجع فى الأختيار من جديد الى النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض

قال القاضى ابوبكر: فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه فاعرضوا عن الغاوين وازجروا العاوين وعرجوا عن سبيل الناكثين الى سنن المهتدين وامسكوا الا لسنة عن السابقين الى الدين واياكم ان تكونوا يوم القيامة من الها لكين بخصومة اصحاب رسول الله ﷺ فقد هلك من كان اصحاب النبى ﷺ خصمه ودعوا ما مضى فقد قضى الله فيه ما قضى وخذوا لانفسكم الجد فيما يلز مكم اعتقادا وعملا ولاتسترسلوا بالسنتكم فيما لايعنيكم مع كل ناعق اتخذ دين الله هملا وان الله لا يضيع اجر من احسن عملا . انتهى كلام القاضى.(١)

ومما يجب التنبيه عليه ان امر الحكمين على الصفة المكذوبة المختلقة مروى عن لوط ابى مخنف — وقد تقدم كلام علماء الجرح والتعديل فيه فى المقدمة — عن ابى حباب الكلبى.(٢) وهو كذاب مثله وهو غير هشام ومحمد بن السائب ابى هشام الذين تقدم الكلام عليهما فى المقدمة

---

(١) العواصم من القواصم ١٧٢ — ١٨٠ ببعض تصرف

(٢) انظر الطبرى ٦ — ٣٩ — ٤٠ والبداية والنهاية ٧ — ٢٨٣ — ٢٨٤

ونرى من المؤكد علينا ان نفرد لكل من الصحابيين الجليلين ابى موسى وعمرو بن العاص ترجمة كى نرى أنهما كانا محل الثقة وموضع الاعتماد من النبى ﷺ والخلفاء من بعده وكيف ولاهما النبى ﷺ والخلفاء من بعده الامور الهامة وكيف قاما بحق ولايتهما خير قيام ونتحقق بذلك انهما كانا من قوة الرأى ومن الامانة الذين هما شرطان اساسيان للولاية بالمحل الاسمى وانهما كانا على العكس مما اشاعه عنهما المعادون لاصحاب رسول الله ﷺ حيث سلبوا ابا موسى وصف القوة وسلبوا عمرو بن العاص وصف الامانة فيا لله للمسلمين اذا لم يكن ولاة رسول الله ﷺ وولاة الخلفاء الراشدين اقوياء امناء فمن يكون قويا امينا

ابو موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه

اسمه عبد الله قدم على رسول الله ﷺ مكة قبل الهجرة فاسلم وهاجر الى الحبشة وقيل بل رجع الى بلاد قومه وقدم المدينة بعد فتح خيبر مع جعفر بن ابى طالب واصحابه فاسهم لهم منها ولم يسهم لاحد غاب عن فتحها غيرهم واستعمله النبى ﷺ على بعض اليمن كزبيد وعدن واعما لهما وشهد فتوح الشام ووفاة ابى عبيدة واستعمله عمر على امرة البصرة بعد ان عزل المغيرة فافتتح الاهواز واصبهان وفقه اهل البصرة واقرأهم قال مجاهد عن الشعبى كتب عمر فى وصيته لايقر لى عامل اكثر من سنة واقروا الاشعرى اربع سنين فاقره عثمان على عمله قليلا ثم صرفه واستعمل عبد الله بن عامر فسكن ابو موسى الكوفة وتفقه به اهلها حتى استعمله عثمان عليها وكان حسن الصوت بالقران وفى الصحيح المرفوع لقد اوتى مزمارا من مزامير ال داود

وكان من علماء الصحابة وقضاتهم واخرج البخارى عن الحسن قال ما اتاها — يعنى البصرة — راكب خير لاهلها منه (١)

عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه

اسلم عام خيبر سنة سبع وقدم على رسول الله ﷺ هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة فاسلموا وكان رسول الله ﷺ يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته وولاه غزوة ذات السلاسل وامده بجيش فيهم ابوبكر وعمر امير هم ابو عبيدة ثم استعمله على عمان فمات النبى ﷺ وهو اميرها

ثم ارسله ابو بكر اميرا الى الشام فشهد فتوحه وهو الذى افتتح قنسرين وصالح اهل حلب ومنبج وانطاكية وولاه عمر فلسطين اخرج ابن ابي خيثمة من طريق الليث قال نظر عمر الى عمرو فقال ما ينبغى لابى عبدالله ان يمشى على وجه الارض الا اميرا ثم ارسله عمر فى جيش الى مصر. ففتحها و لم يزل واليا عليها حتى توفى عمر ثم اقره عثمان عليها اربع سنين ثم عزله فاعتزل عمرو بفلسطين ثم استعمله معاوية على مصر فبقى عليها حتى توفى واليا عليها وذلك سنة ٤٣ على الصحيح

---

(١) الاصابة ٢ — ٣٥٩ — ٣٦٠ التهذيب ٢ — ٢٦٨ — ٢٦٩

عن الشعبى عن قبيصة بن جابر قال: صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا ابين قرآنا ولا اكرم خلقا ولا اشبه سريرة بعلانية منه

عن النبى ﷺ قال: ان له — عمرو — عند الله خيرا كثيرا

رواه احمد والطبرانى بسندين رجالهما ثقات

وعنه ﷺ قال ﴿ابنا العاص مؤمنان وعمرو بن العاص فى الجنة﴾

رواه احمد والطبرانى بسندين رجالهما رجال الصحيح

وعنه ﷺ قال ﴿ عمرو بن العاص من صالحى قريش ونعم اهل البيت ابو عبدالله وام عبدالله وعبد الله ﴾ رواه الترمذى وابو يعلى واحمد ورجاله ثقات

ولما حضرته الوفاة قال « اللهم امرتنى فلم أءتمر ونهيتنى فلم انزجر ولست قويا فانتصر ولا بريئا فاعتذر ولا مستكبرا بل مستغفرا لا آله الا انت » فلم يزل يرددها حتى توفي . (١)

تحقيق امر التلاعن بين على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما

من الروايات المختلقة المروية كاذبا عن كاذب المبنية على الاكذوبة الآنفة في امر الحكمين مارواه الكذاب ابو مخنف عن شيخه في الكذب ابى حباب الكلبي: ان عليا لما بلغه ما فعل عمرو — اى من خداعه

---

(١) التهذيب ٢ — ٣٠ الاصابة ٣ — ٢ — ٣ مجمع الزوائد ٩ — ٣٥٢ وفى وفاته حديث مليح فى كتاب الايمان من صحيح مسلم وقال ابن القيم كل حديث فى ذم عمروبن العاص فهو كذب، المنار المنيف، ١١٧

ابا موسى ـــ كان يلعن فى قنوته معاوية وعمرو بن العاص و .....
فلما بلغ ذلك معاوية كان يلعن فى قنوته عليا وحسنا وحسينا وابن العباس والاشترالنخعى قال ابن كثير ولا يصح هذا والله اعلم . (١)

ومما ينبغى التنبيه عليه ان عبارة « لايصح » فى مثل هذا المقام تعنى الوضع لا الضعف كما حققه الشيخ عبد الفتاح ابو غدة فى تعليقاته على موضوعات على القارى

وقال الامام محي الدين النووي ـــ فى الكلام على مارواه مسلم : ان معاوية قال لسعد بن ابى وقاص : ما منعك ان تسب ابا تراب ـــ اى عليا ـــ

قال العلماء الاحاديث الواردة التى في ظاهرها دخل على صحابى يجب تأويلها قالوا: ولا يقع فى روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله، فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بانه امر سعدا بسببه وانما سأله عن السبب المانع له عن السب كأنه يقول هل امتنعت عنه تورعا او خوفا او غير ذلك فان كان تورعا واجلالا له عن السب فانت مصيب محسن وان كان غير ذلك فله جواب اخر ،ولعل سعدا كان فى طائفة يسبون فلم يسب معهم وعجز عن الانكار او انكر عليهم فسأله هذا السؤال

قالوا ويحتمل تأويلا اخر ان معناه ما منعك ان تخطئه فى رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وانه أخطأ . (٢)

---

(١) انظر الطبرى ٦ ـــ ٤٠ والبداية والنهاية ٧ ـــ ٢٨٤ ـــ

(٢) شرح مسلم ٩ ـــ ٢٨٠

الغلو فى علي رضى الله تعالى عنه

عن على رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿فيك مثل من عيسى ابغضته اليهود حتى بهتوا امه واحبته النصارى حتى انزلوه بالمنزلة التى ليس له﴾ ثم قال «يهلك فى رجلان محب مفرط يقرظنى بما ليس فى ومبغض يحمله شنئآنى على ان يبهتنى» رواه عبد الله بن احمد والبزار وابو يعلى والحاكم

تقدم ان الغلو فى على رضى الله تعالى عنه اول ماظهر فى عهد عثمان من المنافق عبد الله بن سبأ حيث تظاهر بالاسلام كيدا له لا ايمانا به ورغبة فيه وادعى الغيرة على الاسلام والمودة لأهله وكان يقول: لكل نبى وصى وان عليا وصى محمد ﷺ الى غير ذلك مما قدمناه عنه

واخذ يبث دعوته هذه بخبث وتدرج ودهاء واستجاب له ناس من مختلف الطبقات واستكثر اتباعه من حديثى السن وقليلى التجربة من الشبان ومن البلهاء الصا لحين المتشددين فى الدين المتنطعين فى العبادة من يظن الغلو فضيلة والاعتدال تقصيرا وهؤلاء هم اول تابع لدعاة الأنحراف والضلال واتخذ من بعضهم دعاة فهموا اغراضه وعولوا على تحقيقها

ولم يـزل يدأب على بث سـمومه فيهم والتدرج بهم من كـبيرة إلى اكبر حتى ورطهم فى مهـواة الاعتقـاد بالـوهية علي رضى الله عنـه ولكن المنافق كان ادهى من ان يبوح بهذا الامر امام الناس على ان هذا الامر لم يكن من اعتقاده الشخصى ولكنه كان يهدف الى امر آخر

فلما ظهر امر هؤلاء لعلي اذاقهم اصناف العذاب والنكال وروى ابن تيمية فى منهاج السنة عن الشعبى انه قال حرقهم على بن ابى طالب رضى الله عنه بالنار ونفاهم الى البلاد منهم عبد الله بن سبأ اليهودى من يهود صنعاء نفاه الى ساباط وابوبكر الكروس نفاه الى الجابية وحرق منهم قوما اتوه فقالوا انت هو فقال:من أنا فقالوا انت ربنا فامر بنار فاججت فالقوا فيها وفيهم قال على رضى الله عنه

لما رأيت الامر امرا منكرا* اججت نارى ودعوت قنبرا

قال الشعبى ان محنتهم محنة اليهود قالت لايصلح الملك الا فى آل داود وقال هؤلاء لاتصلح الامامة الا فى ولد على قيل لليهود من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى وقيل للنصارا من خير اهل ملتكم قالو حوارى عيسى وقيل لهؤلاء من شر اهل ملتكم قالوا حوارى محمد ﷺ (١)

ومن هؤلاء نشأ القول بالوصية لعلى قال الشهرستانى : اول من اظهر القول بالنص بامامة على ابن سبأ ومنه انشعبت اصناف الغلاة .(٢)

ونقل الماقانى فى تنقيح المقال(٣) عن الكشي ـــ وهما من كبار علماء الشيعة ـــ كان ابن سبأ اول من اشهر القول بامامة على واظهر البراءة من اعدائه وكاشف مخالفيه وكفرّهم (٤)

---

(١) منهاج السنة ١ ـــ ٦ ـــ ٧ بتصرف وقصة تحريق على مدعى الوهيته قد ذكرها فى فتح البارى وقال انها مروية بسند حسن، ١٢ ـــ ٢٢٧

(٢) الملل والنحل ١ ـــ ١٧٤ ـــ (٣) ٢ ـــ ١٨٤ ـــ

(٤) تعليقات محب الدين الخطيب على مختصر التحفة الاثنى عشرية ٢٩٩

وقال ابو العباس ابن تيمية اصل المذهب من احداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم فى حياته على امير المؤمنين رضى الله تعالى عنه.(١)وكان مقصود اول من اظهر هذه البدعة الصد عن سبيل الله وابطال ما جاءت به رسل الله وذلك بالطعن فى اصحاب رسول الله الذين هم حملة الاسلام ونقلة الشرع فالطعن فيهم طعن فى الدين وموجب للاعراض عما بعث الله به النبيين لكن راج كثير منها على من ليسوا من المنافقين الملحدين لنوع من الشبهة والجهالة المخلوطة بهوى فقبل معه الضلالة وهذا اصل كل باطل.(٢)

وبعد ان اطال النفس فى ذكر حماقات هؤلاء الغلاة واسهب فى تعداد جهالاتهم قال: لكن قد لايكون هذا كله فى الامامية الاثنى عشرية ولافى الزيدية ولكن يكون كثير منه فى الغالية وفى الكثير من عوامهم. (٣)

---

(١) منهاج السنة ١ ــ ٣ ــ
(٢) منهاج السنة ١ ــ ٤ بتصرف ــ
(٣) ١ ــ ١٢

الفصل الخامس فى امير المؤمنين الحسن بن على

فضائل الحسن رضى الله تعالى عنه

١ــ عن ابى بكرة رضى الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن الى جنبه ينظر الى الناس مرة واليه مرة ويقول: ﴿ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين﴾ رواه البخارى والترمذى

٢ــ عن البراء قال: رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه يقول ﴿اللهم انى احبه فاحبه﴾ رواه الشيخان

٣ــ عن انس رضى الله تعالى عنه قال: لم يكن احد اشبه بالنبى ﷺ من الحسن بن على* رواه البخارى والترمذى

٤ــ عن ابى سعيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال ﴿الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة﴾ رواه الترمذى وقال حسن صحيح

٥ــ عن انس رضى الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ اى اهل بيتك احب اليك؟ قال: الحسن والحسين وكان يقول لفاطمة: ادعى ابنىّ، فيشمهما ويضمهما اليه* رواه الترمذى

٦ــ عن ابن مسعود كان رسول الله ﷺ يصلى فاذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فاذا ارادوا ان يمنعوهما اشار اليهم ان دعوهما فاذا قضى الصلاة وضعهما فى حجره فقال: ﴿من احبنى فليحب هذين﴾ رواه ابو يعلى بسند قال الهيثمى رجاله ثقاة ورواه ابن خزيمه عن بريدة وصححه

الصلح بين الحسن وبين معاوية رضى الله تعالى عنهما

عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال: استقبل الحسن بن على معاوية بكتائب امثال الجبال، فقال عمرو بن العاص لمعاوية انى ارى كتائب لاتولى حتى تقتل اقرانها فقال معاوية وكان والله خير الرجلين ـ اى كان معاوية خيرا من عمرو ـ ان قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لى بامور المسلمين من لى بنسائهم من لى بضيعتهم (١) فبعث اليه برجلين من قريش من بنى عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الرحمن بن عامر فقال: اذهبا الى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا اليه فدخلا عليه وتكلما وقالا له وطلبا اليه فقال لهم الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما: انا بنوا عبد المطلب قد اصبنا من هذا الأموال وان هذه الامة قد عامت فى دمائها: قالا له فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك قال من لى بهذا قالا نحن لك به فما سألاه شيئا الا قالا نحن لك به فصالحه* رواه البخارى

وروى ان الحسن كتب الى معاوية لما علم انه لن يغلب احد الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى يخبره انه يصير الامر اليه على ان تكون له الخلافة من بعده فى شروط اخرى اشترطها عليه فاجابه معاوية وبعث اليه برق ابيض وقال اكتب ما شئت فيه فانى التزمه.(٢)

(١) الضيعة والضعفاء سموا باسم ما يؤل إليه أمرهم لأنهم إذا تركوا ضاعوا لعدم استقلالهم بأمر المعاش (٢) الصواعق ١٣٤ .

قال ابن حجر الهيثمي: ويمكن الجمع بان معاوية ارسل اليه اولا فكتب الحسن اليه يطلب ما ذكر.

موت الحسن مسموما ومن الذى سمه

فى الاصابة. يقال انه مات مسموما. قال ابن سعد أخبرنا اسماعيل بن ابراهيم أخبرنا ابن عون عن بجير بن اسحاق.دخلت أنا وصاحب لى على الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما فقال لقد لفظت طائفة من كبدى وانى سقيت السم مرارا فلم اسق مثل هذا، فاتى الحسين بن على فسأله من سقاك فابى ان يخبره رضى الله تعالى عنه.(١) وقال ابن كثير وروى انه قال ما تريد؟ أتريد أن تقتله ؟ قال نعم قال: لان كان الذى اظن فالله اشد نقمة وان كان غيره فلا يقتل لى برىء، ويقال كان معاوية قد تلطف الى بعض خدمه ان يسقيه سما، ويقال: ان يزيدبعث الى جعدة بنت الاشعث زوجة الحسن ان سمى الحسن وانا اتزوجك ففعلت فلما مات الحسن بعثت اليه فقال: انا والله لم نرضك للحسن افنرضاك لانفسنا ثم قال ابن كثير: وعندى ان هذا لايصح وعدم صحته عن ابيه معاوية بطريق الاولى والاحرى (٢)

وقال تقى الدين ابن تيمية: لم يثبت ذلك ببينة شرعية ولا اقرار معتبر ولا نقل يجزم به وهذا مما لايمكن العلم به فالقول به قول بلا

---

(١) الاصابة ١ ــ ٣٣١ ــ

(٢) البداية والنهاية ٨ ــ ٤٣

علم الى ان قال:وقد يقال: ان امرأته سمته لغرض اخر مما تفعله النساءفانه كان مطلاقا لا يدوم مع امرأته : (١)

وقال ابن العربي: فان قيل قد دس ـــ معاوية ـــ على الحسن من سمه ، قلنا هذا محال من وجهين، احدهما انه ما كان ليتقي من الحسن باسا وقد سلم الامر، الثانى انه امر مغيب لايعلمه الا الله تعالى فكيف تحملونه بغير بينة على احد من خلقه فى زمان متباعد لم نثق فيه بنقل نا قل بين ايدى قوم ذوى اهواء وفى حال فتنة وعصبية ينسب كل واحد الى صاحبه ما لا ينبغى فلا يقبل فيه الا الصافى ولا يسمع فيها الا من العدل المصمم.(٢)

---

(١) منهاج السنة ٢ ـــ ٢٢٥ ـــ

(٢) العواصم ٢١٣ ـــ ٢١٤

الفصل السادس فى امير المومنين معاوية بن ابى سفيان

فضائل معاوية رضى الله تعالى عنه

١ ـــ عن ابى مليكة رضى الله تعالى عنه قيل لابن عباس: هل لك فى امير المؤمنين معاوية فانه ما اوتر الا بركعة، قال ابن عباس: اصاب انه فقيه * رواه البخارى

٢ ـــ عن النبى ﷺ انه قال لمعاوية ﴿ اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به ﴾ رواه الترمذى بسند حسن

٣ ـــ عن معاوية رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال ﴿ يا معاوية ان وليت امرا فاتق الله واعدل ﴾ قال فمازلت أظن أنى مبتلى بعمل لقول رسول الله ﷺ حتى ابتليت★ رواه احمد وابو يعلى ورجالهما رجال الصحيح

٤ ـــ عن عبد الله بن بسر ان النبى ﷺ قال فى معاوية ﴿احضروه امركما او اشهدوه امركم فانه قوى امين﴾ رواه الطبرانى والبزار ورجالهما ثقات وفى بعضهم خلاف

٥ ـــ عن مسلمة بن مخلد ان النبى ﷺ قال: لمعاوية ﴿اللهم علمه الكتاب والحساب ومكن له فى البلاد وفى رواية وقه سوء العذاب﴾ رواه الطبرانى ورجاله وثقوا

٦ ـــ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال: جاء جبريل الى

رسول الله ﷺ فقال يامحمد استوص معاوية فانه امين على كتاب الله ونعم الامين هو* رواه الطبرانى بسند ضعيف

٧ــ عن عبد الله بن عمر ان معاوية كان يكتب بين يدى رسول الله ﷺ رواه الطبرانى بسند حسن

٨ــ عن على رضى الله عنه قال: قتلاى وقتلى معاوية فى الجنة* رواه الطبرانى ورجاله وثقوا

٩ــ عن ابن عمر رضى الله عنه قال: ما رأيت احدا بعد رسول الله ﷺ اسود من معاوية* رواه الطبرانى وفى رجاله خلاف

١٠ــ عن ابى موسى ان رسول الله ﷺ قال فى معاوية ﴿ان الله ورسوله يحبانه﴾ رواه الطبرانى بسند ضعيف

١١ــ عن عبد الله بن ابى أوفى قال قال رسول الله ﷺ ﴿سألت ربى ان لا اتزوج إلى احد ولا ازوج اليه الا كان معى فى الجنة فاعطانى ذلك﴾ رواه الطبرانى وفيه رجل مختلف فيه ، وروى ان لا اتزوج الى اهل بيت

١٢ــ عن الاعمش قال: لورأيتم معاوية لقلتم المهدى، رواه الطبرانى مرسلا بسند ضعيف

١٣ــ عن ابى فتيل عن معاوية بن ابى سفيان انه صعد المنبر يوم القمامة فقال عند خطبته انما المال ما لنا والفىء فيئنا فمن شئنا اعطيناه ومن شئنا منعناه فلم يجبه احد فلما كان فى الجمعة الثانية قال مثل ذلك فلم يجبه احد فلما كان فى الجمعة الثالثة قال مثل مقالته فقام اليه رجل ممن حضر المسجد فقال كلا انما المال ما لنا والفىء فيئنا فمن حال بيننا وبينه حاكمناه الى الله بأسيا فنا فنزل معاوية فأرسل إلى الرجل فأدخله فقال القوم هلك الرجل ثم دخل الناس فوجدوا

الرجل معه على السرير فقال معاوية للناس ان هذا احياني احياه الله سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ سيكون بعدى امراء يقولون ولا يرد عليهم يتقاحمون فى النار كما تتقاحم القردة ﴾ وانى تكلمت اول جمعة فلم يرد على احد فخشيت ان اكون منهم ثم تكلمت فى الجمعة الثا نية فلم يرد على احد فقلت فى نفسى انى من القوم ثم تكلمت فى الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فرد على فاحياني احياه الله * رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط وابو يعلى ورجاله ثقات . (١)

١٤ ـــ عن على بن ابى جملة عن ابيه قال رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس وعليه ثوب مرقع * رواه احمد فى كتاب الزهد

١٥ـــ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه قال: ما رأيت احدا احلى للملك من معاوية * رواه البخارى فى التاريخ وعبد الرزاق

١٦ ـــ عن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قال : ما رأيت احدا بعد عثمان اقضى بحق من صاحب هذا الباب واشار الى معاوية * رواه الليث بن سعد بسند وثيق كما فى البداية والنهاية

١٧ ـــ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما قال : ما رأيت احدا اسود من معاوية قال جبلة بن سحيم قلت ولا عمر قال كان عمر خيرا منه وكان معاوية اسود منه * اخرجه ابن عبد البر فى الاستيعاب وابن كثير فى البداية والنهاية

قال تقى الدين ابن تيمية : لم يكن من ملوك الاسلام ملك خيرا

---

(١) نقلنا هذه الاحاديث من اول الفصل الى هنا ماعدى الحديثين الاولين من مجمع الزوائد واعتمدنا فى تخريجها عليه

من معاوية ولا كان الناس فى زمن ملك من الملوك خيرا منهم فى زمن معاوية اذا نسبت ايامه الى ايام من بعده واذانسبت الى ايام ابى بكر وعمر ظهر التفاضل

وقد روى ابو بكر بن الاثرم ورواه ابن بطة من طريقه حدثنا محمد بن عمر بن جبلة حدثنا محمد بن مروان عن يونس عن قتادة قال : لو اصبحتم فى مثل عمل معاوية لقال اكثركم هذا المهدى وروى ابن بطة باسناده الثابت من وجهين عن الاعمش عن مجاهد قال : لو ادركتم معاوية لقلتم هذا المهدى، وروى الاثرم حدثنا احمد بن جواس حدثنا ابو هريرة المكتب قال : كنا عند الاعمش فذكر عمر بن عبد العزيز وعدله فقال الاعمش : فكيف لو ادركتم معاوية ، قالوا فى حلمه قال لا والله بل فى عدله (١)

وقال ايضا وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سيرة الولاة وكان رعيته يحبونه وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ انه قال ﴿ خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم﴾ (٢)

وقال ابن حجر الهيثمى ونقل القاضى عياض ان رجلا قال للمعافى بن عمر: اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب غضبا شديدا وقال لايقاس باصحاب رسول الله ﷺ احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحى الله، ويوافق ذلك ان عبد الله بن المبارك المجمع

---

(١) منهاج السنة ٣ ــ ١٨٥ ــ

(٢) وايضا ٣ ــ ١٨٩

على جلالته وامامته وتقدمه وجمعه بين شتى العلوم والفضائل والكمالات. سئل فقيل يا ابا عبد الرحمن ايهما افضل معاوية او عمر ابن عبد العزيز فقال والله ان الغبار الذى دخل فى انف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ افضل من عمر بالف مرة. (١)

قال ابن كثير قال ابن ابى الدنيا : حدثنى محمد بن قدامة الجوهرى حدثنى عبد العزيز بن يحيى عن شيخ له قال : لما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية فى موكب عظيم فلما دنى من عمر قال له : انت صاحب الموكب ؟ قال نعم يا امير المؤمنين قال : هذا حالك مع ما بلغنى من طول وقوف ذوى الحاجات ببابك قال :هو ما بلغك من ذلك قال : لم تفعل هذا لقد هممت ان آمرك بالمشى حافيا الى بلاد الحجاز،قال يا امير المؤمنين انا بارض جواسيس العدو فيها كثيرة فيجب ان نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ويرهبهم به فان امرتنى فعلت وان نهيتنى انتهيت ، فقال له عمر يا معاوية ما سألتك عن شىء إلا تركتنى فى مثل رواجب الضرس (٢) لئن كان ما قلت حقا إنه لرأى أريب ولئن كان باطلا إنه لخدعة أديب فقال

---

(١) تطهير الجنان ١٠

(٢) لم اظفر بمعنى هذه الكلمة بعد مراجعة معاجم اللغة وقوامسيها مثل القاموس وشرحيه الاقيانوس وتاج العروس ولسان العرب والنهاية لابن الاثير وغيرها، وفى لسان العرب رجب الرجل استحى ورجب الرجل ها به وعظمه والرواجب ما بين عقد الاصابع من داخل واحدها راجبة وفى الحديث الاتنقواررواجبكم هذاوالمعنى الملائم للمقام اسكتنى وأبهتنى

: فمرنى يا امير المؤمنين بما شئت قال لا آمرك ولا انهاك، فقال رجل يا امير المؤمنين ما احسن ما صدر الفتى عما اوردته فيه ، فقال عمر : لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه.(١)

وقال النووى : وكان ــ معاوية ــ احد الكتاب لرسول الله ﷺ حليما وقورا ولاه عمر الشام بعد اخيه يزيد واقره عثمان فعاش عشرين سنة اميرا وعشرين سنة خليفة ولما حضرته الوفاة اوصى ان يكفن فى قميص كان رسول الله ﷺ كساه اياه وان يجعل مما يلى جسده وكان عنده قلامة اظفار رسول الله ﷺ فاوصى ان تسحق وتجعل فى عينيه وفمه وقال افعلوا بى ذلك وخلوا بينى وبين ارحم الراحمين(٢)

معاوية من الخلفاء الراشدين

الملم بسيرة معاوية رضى الله تعالى عنه لا يشك فى انه من الخلفاء الراشدين الهادين المهديين

وقد قدمنا عن عدة رجال من اكابر التابعين ممن شاهدواخلافته أنهم قالوا: لو رأيتم معاوية لقلتم المهدى وروى محمد بن سعد عن الزهرى قال: ان معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه ثم انه بعد من ذلك.(٣)وسبب الابتعاد عن ذلك ما اشار اليه معاوية نفسه

(١) البداية والنهاية ٨ ــ ١٢٤ ــ ١٢٥

(٢) تهذيب الاسماء واللغات ٢ ــ ١٠٣

(٣) البداية والنهاية ٨ ــ ١٣١ ــ

فى حواره لابنه يزيد روى ابن ابى الدنيا: ان معاوية قال ليزيد كيف تراك فاعلا ان وليت؟ قال: كنت والله عاملا فيهم عمل عمر بن الخطاب فقال معاوية سبحان الله يا بنّى والله لقد جهدت على سيرة عثمان بن عفان فما اطقتها فكيف بك وسيرة عمر.(١) وذلك ان الحاكم لايستطيع ان يكون كما يريد ان يكون حيثما يريد فللبيئة من التاثير فى الحاكم ما لها والى هذا اشار على رضى الله تعالى عنه لما قيل له ما بال الناس اختلفوا عليك و لم يختلفوا على من قبلك فقال: انهم كانوا امراء على مثلى وانا امير على مثلك ، وهذا من معانى قوله تعالى ﴿ ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم﴾

قال العلامة ابن خلدون: الحق ان معاوية فى عداد الخلفاء وينبغى ان تلحق اخباره باخبارهم فهو تاليهم فى الفضل والعدالة والصحبة ولا ينظر فى ذلك إلى حديث: ﴿الخلافة بعدى ثلاثون سنة﴾ فانه لم يصح،(٢) وانما اخره المؤرخون عنهم لامرين

(١) نفس المصدر ٨ ــ ٢٢٩

(٢) قال فى فتح البارى حديث سفينة ﴿الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا﴾ أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره والثلاثون سنة لم يكن فيها الا الخلفاء الاربعة وايام الحسن بن علّى قال: قال القاضى عياض: ظاهر هذ الحديث يعارض حديث جابر بن سمرة المتفق على صحته ان النبى ﷺ قال لايزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الامة﴾ ثم اجاب القاضى عياض بانه اراد فى حديث سفينة خلافة النبوة و لم يقيده فى حديث جابر بذلك انتهى بتصرف ١٣ــ ١٨٠ فالمراد بالخلافة فى حديث سفينة خلافة النبوة التى لم يخالطها شىء من الملوكية وخلافة معاوية قد خالطها شىء من ذلك وقد نقل عنه انه قال: انا آخر خليفة واول الملوك

الاول ان الخلافة لعهده كانت مغالبة من اجل العصبية التى حدثت لعصره واما قبل ذلك فكانت اختيارا واجماعا فميزوا بين الحالتين فكان معاوية اول خلفاء المغالبة والعصبية الذين يعبر عنهم اهل الأهواء بالملوك ويشبهون بعضهم ببعض وحاشا لله ان يشبه معاوية باحد ممن بعده فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه فى الدين والفضل من الخلفاء المروانية ممن تلاه فى المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بنى العباس ولا يقال ان الملك أدنى مرتبة من الخلافة فكيف يكون خليفة ملكا

واعلم ان الملك الذى يخالف بل ينافى الخلافة هو الجبروتية المعبر عنها بالكسروية التى انكرها عمر على معاوية حينما رأى ظواهرها واما الملك الذى هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلاينا فى الخلافة ولا النبوة فقد كان سليمان بن داود وابوه صلوات الله عليهما نبيين وملكين وكانا على غاية الاستقامة فى دنيا هما وعلى طاعة ربهما عز وجل ومعاوية لم يطلب الملك وابهته للاستكثار من الدنيا وانما ساقه امر العصبية بطبعها لما استولى المسلمون على الدول كلها وكان هو خليفتهم فد عاهم بما يدعو الملوك اليه قومهم عند ما تستفحل العصبية وتدعو لطبيعة الملك وكذلك شأن الخلفاء اهل الدين من بعده اذا دعتهم ضرورة الملك الى استفحال احكامه ودواعيه

والقانون فى ذلك عرض افعالهم على الصحيح من الاخبار لا الواهى فمن جرت افعاله عليها فهو خليفة النبى ﷺ فى المسلمين ومن خرجت افعاله عن ذلك فهو من ملوك الدنيا وانما سمى خليفة بالمجاز

الامر الثانى فى ذكر معاوية مع خلفاء بنى امية دون الخلفاء الاربعة انهم كانوا اهل نسب واحد وعظيمهم معاوية فجعل مع اهل نسبه

والخلفاء الاولون مختلفوا الأنساب فجعلوا فى نمط واحد والحق بهم عثمان وان كان من اهل هذا النسب للحوقه بهم قريبا فى الفضل والله يحشرنا فى زمرتهم ويرحمنا بالاقتداء بهم.(١)

عهد معاوية لابنه يزيد بالخلافة

ونجعل الكلام فى مقامين الاول فى حكم ولاية العهد فى الشريعة الاسلامية، والثانى فى السبب الداعى لمعاوية رضى الله عنه الى العهد ليزيد

حكم ولاية العهد

قال فى فتح البارى: قال النووى وغيره: اجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف وعلى انعقادها بعقد اهل الحل والعقد لانسان حيث لايكون هناك استخلاف غيره وعلى جواز جعل الخليفة الامر شورى بين عدد محصور او غيره.(٢)

ونقل الحافظ عن ابن بطال قال: وفى قصة جعل عمر الخلافة شورى دليل على جواز عقد الخلافة من الامام المتولى لغيره بعده وان امره فى ذلك جائز على عامة المسلمين لاطباق الصحابة ومن معهم

---

(١)خاتمة الجزء الثانى ١٨٨ ـ

(٢)فتح البارى ١٣ـ١٧٦ ـ

على العمل بما عهده ابوبكر لعمر وكذا لم يختلفوا فى قبول عهد عمر الى الستة قال: وهو شبيه بايصاء الرجل على ولده لكون نظره فى ما يصلح اتم من غيره فكذلك الامام انتهى.(١)

ما الذى دعى معاوية الى العهد ليزيد

لايشك احد من اهل السنة ممن يعرف عظمة معاوية فى انه كانت له نية طيبة فى استخلافه ابنه يزيد ويتحير الكثير فى الاهتداء اليها وقد كشف علماء الامة هذه الغمة وحلوا هذه المشكله بوجه معقول يتفق وعظمة معاوية وعدالته وصحبته

قال الحافظ ابن كثير:فى سنة ٥٦ دعى معاوية الناس الى البيعة ليزيد ولده ان يكون ولي عهده من بعده وكتب الى الافاق بذلك فبايع له الناس فى سائر الاقاليم الاعبد الرحمن بن ابى بكر وعبد الله بن عمر،(٢) والحسين بن على وعبد الله بن الزبير وابن عباس رضى الله تعالى عنهم

(١) فتح البارى١٣ــ١٧٦

(٢) ما قاله ابن كثير من تخلف ابن عمر عن بيعة العهد ليزيد مثل اصحابه الاربعة هو الصحيح وسياتى عن ابن خلدون ايضا لكن ابن عمر عاد فبايعه ببعة الخلافة بعد وفاة معاوية ولم يخلعه حينما خلع اهل المدينة كما سيأتى فى حديث البخارى

وغلط القاضى ابوبكر سامحه الله ــ وكم له من غلطات فى هذا المقام ــ حيث ادعى ان ابن عمر بايع ليزيد بيعة العهد واستدل على ذلك بما رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: دخلت على حفصة ونوساتها تنطف ــ اى ذوائبها تقطر ماء ــ قلت قد كان من امر الناس ماترين فلم يجعل لى من الامر شيء فقالت الحق فانهم ينتظرونك واخشى ان يكون فى احتباسك =

= عنهم فرقة فلم تدعه حتى ذهب فلما تفرق الناس خطب معاوية قال من كان يريد ان يتكلم فى هذا الامر فليطلع لنا قرنه فلنحن احق به منه ومن ابيه قال حبيب بن مسلمة فهلا اجبته قال عبد الله فحللت حبوتى وهممت ان اقول احق بهذا الامر منك من قاتلك واباك على الاسلام فخشيت ان اقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عنى غير ذلك فذكرت ما اعد الله تعالى فى الجنان فقال حبيب حفظت وعصمت

فحمل القاضى الحديث على ان الحادث كان حين اخذ معاوية العهد ليزيد وهو خطأ بل كان الحادث حينما اجتمع الحكمان باذرح واليك تعليق الحافظ العسقلانى على الحديث

(قوله قد كان من الامر ما ترين فلم يجعل لى من الامر شىء مراده بذلك ما وقع بين على ومعاوية من القتال فى صفين يوم اجتماع الناس على الحكومة بينهم فى ما اختلفوا فيه فرا سلوا بقايا الصحابة من الحرمين وغيرهما وتواعدوا على الاجتماع لينظروا فى ذلك فشاور ابن عمر اخته فى التوجه اليهم اوعدمه فاشارت عليه باللحاق بهم خشية ان ينشأ من غيبته اختلاف يقضى الى استمرار الفتنة

(قوله فلما انصرف الناس) اى بعد ان اختلف الحكمان ابو موسى الاشعرى وعمرو بن العاص ووقع فى رواية عبد الرزاق عن معمر فى هذا الحديث فلما تفرق الحكمان وهو يفسر المراد ويعين ان القصة كانت بصفين وقيل غير ذلك والمعتمد ما صرح به فى رواية عبد الرزاق ثم وجدت فى رواية حبيب بن ابى ثابت عن ابن عمر قال لما كان فى اليوم الذى اجتمع فيه معاوية بدومة الجندل قالت حفصة انه لايجمل بك ان تتخلف عن صلح يصلح الله تعالى به بين امة محمد ﷺ وانت صهر رسول الله ﷺ وابن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال فاقبل معاوية يومئذ على بختى عظيم فقال من يطمع لى هذا الامر او يرجوه او يمد اليه عنقه الحديث اخرجه الطبرانى =

ورأى معاوية ان يزيد اهل لذلك وذلك من شدة محبة الوالد لولده ولما كان يتوسم فيه من النجابة الدنيوية وسيما اولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بابهته وكان ظن ان لايقوم احد من ابناء الصحابة فى هذا المعنى ولهذا قال لعبد الله بن عمر فى ما خاطبه انى خفت ان اذر الرعية من بعدى كالغنم المطيرة ليس لها رادع.
وروينا عن معاوية انه قال يوما فى خطبته: اللهم ان كنت تعلم انى وليته لانه فى ما اراه اهل لذلك فاتمم له ما وليته وان كنت وليته لانى احبه فلا تتم له ما وليته.(١)

وهذا الدعاء لايدع شبهة فى ان معاوية لم يرد فى عهده له سوى الله تعالى.

= وكان رأى معاوية فى الخلافة تقديم الفاضل فى القوة والراى والمعرفة على الفاضل فى السبق الى الاسلام والدين والعبادة فلهذا اطلق انه احق وراى ابن عمر بخلاف ذلك وانه لايبايع المفضول الا اذا خشى الفتنة ولهذا بايع بعد ذلك معاوية ثم ابنه يزيد ونهى بنيه عن نقض بيعته وبايع بعد ذلك لعبد الملك بن مروان

والحبوة بضم المهملة وسكون الموحدة ثوب يلقى على الظهر ويربط طرفاه على الساقين بعد ضمهما. فتح الباري بتصرف .ج.٧ ص ٣٢٣ــ٣٢٤

(١) البداية والنهاية ملخصا ٨ ــ ٧٩ ــ ٨٠. وانظر الطبرى ٦ــ ١٦٩ ــ ١٧٠

كلام المحقق ابن خلدون فى ذلك

وقد اوضح العلامة المحقق ابن خلدون فى فصل ولاية العهد من مقدمته المقامين اتم ايضاح واحكمه ونثبت الفصل برمته هنا لاشتماله على محاسن قلما توجد، قال رحمه الله وجزاه عن اصحاب محمد ﷺ خير الجزاء

اعلم انا قدمنا الكلام فى الامامة ومشروعيتها لما فيها من المصلحة وان حقيقتها النظر فى مصالح الامة لدينهم ودنياهم فهو وليهم وا لامين عليهم ينظر لهم ذلك فى حياته ويتبع ذلك ان ينظرلهم بعد مماته ويقيم لهم من يتولى امورهم كما كان هو يتولاها ويثقون بنظره لهم فى ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع باجماع الامة على جوازه وانعقاده اذ وقع بعهد ابى بكر رضى الله تعالى عنه لعمر بمحضر من الصحابة واجازوه واوجبوا على انفسهم به طاعة عمر رضى الله تعالى عنه وعنهم وكذلك عهد عمر فى الشورى الى الستة بقية العشرة وجعل لهم ان يختاروا للمسلمين ففوض بعضهم الى بعض حتى افضى ذلك الى عبد الرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين علىَ عثمان وعلىَ عليٍّ فآثر عثمان بالبيعة على ذلك لموافقته اياه على لزوم الاقتداء بالشيخين فى كل ما يعن دون اجتهاده فانعقد امر عثمان لذلك واوجبوا طاعته والملأ من الصحابة حاضرون للأولى والثانية ولم ينكره احد منهم فدل على انهم متفقون على صحة هذا العقد عارفون بمشروعيته والاجماع حجة كما عرف

ولا يتهم الامام فى هذا الامر وان عهدالى ابيه اوابنه لانه مأمون على النظر لهم فى حياته فاولى ان لا يحتمل فيها تبعة بعد مماته خلافاً

لمن قال باتهامه فى الولد والوالد او لمن خصص التهمة بالولد دون الوالد فانه بعيد عن الظنة فى ذلك كله لا سيما إذا كان هناك داع يدعو إليه من إيثار مصلحة او توقع مفسدة فتنتفى الظنة فى ذلك رأسا كما وقع فى عهد معاوية لابنه يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة فى الباب

والذى دعى معاوية لايثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة فى اجتماع الناس واتفاق اهوائهم باتفاق اهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى امية اذ بنوا امية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصبة قريش واهل الملة اجمع واهل الغلب منهم، فآثره بذلك دون غيره ممن يظن انه اولى بها وعدل عن الفاضل الى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الاهواءالذى شأنه اهم عند الشارع وان كان لايظن غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضور اكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن ياخذهم فى الحق هوادة وليس معاوية ممن تاخذه العزة فى قبول الحق فانهم كلهم اجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه وفرار عبدالله بن عمر من ذلك انما هومحمول على تورعه من الدخول فى‌شىء من الأمور مباحا كان او محظورا كما هو معروف عنه و لم يبق فى المخالفة لهذا العهد الذى اتفق عليه الجمهور إلا ابن الزبير (١)رضى الله عنه (مع أن ظنه كان به صالحا ولا يرتاب أحد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد إليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق حاشا لله

(١) تقدم عن ابن كثير ان من المخالفين الحسين وابن عباس وعبد الرحمن بن ابى بكر

معاوية من ذلك) (١) (فانه اعدل من ذلك وافضل بل كان يعذله ايام حياته فى سماع الغناءوينهاه عنه وهو اقل من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة) (٢)

ثم انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بنى أمية والسفاح والمنصور والمهدى والرشيد من بنى عباس وأمثالهم ممن عرفت عدالته وحسن رأيهم للمسلمين والنظر لهم ولايعاب عليهم ايثار ابنائهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة فى ذلك فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل واحد وازع من نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكلوا كل من يسموالى ذلك الى وازعه

واما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد اشرفت على غايتها من الملك والوازع الدينى قد ضعف واحتيج الى الوازع السلطانى والعصبانى فلو عهد الى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتقض امره سريعا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف، سأل رجل عليا رضى الله تعالى عنه ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم يختلفوا على ابى بكر وعمر فقال لان ابابكر وعمر كانا واليين على مثلى وانا اليوم وال على مثلك يشير الى وازع الدين، افلاترى الى المامون لما عهد الى على بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضى كيف انكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا لعمه ابراهيم بن

(١) ما بين القوسين مزيد من صحيفة ٢٠٦ (٢) ما بين القوسين مزيد من صحيفة ٢١٢

المهدى وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد ان يصطلم الامر حتى بادر المأمون من خراسان الى بغداد ورد امرهم لمعاهدهم (وقد كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول اذا رأى القاسم بن محمد بن ابى بكر: لو كان لى من الامرشىءلو ليته الخلافة ولو اراد ان يعهد اليه لفعل ولكنه كان يخشى من بنى امية اهل الحل والعقد لما ذكرنا فلا يقدر ان يحول الامر عنهم لئلا تقع الفرقة) (١)

فلابد من اعتبار ذلك فى العهد فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصبيات وتختلف باختلاف المصالح ولكل واحد منها حكم يخصه لطفا من الله بعباده

،واما ان يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الأبناء فليس من المقاصد الدينية اذ هو امر من الله يخص به من يشاء من عباده وينبغى ان تحسن فيه النية ما امكن خوفا من العبث بالمنا صب الدينية والملك لله يؤتيه من يشاء.(٢)

قتل معاوية حجرا واصحابه

ومما نقم على معاوية رضى الله تعالى عنه قتله حجرا بن عدى واصحابه واجمال الكلام فى امر حجر وقتله وما دعى معاوية اليه على ما ذكره العلماء الاثبات

ان حجرا كان من عباد الناس وزهادهم وكان بارا بامه وكان كثير

---

(١) ما بين القوسين مزيد من صحيفة ٢٠٦ —

(٢) المقدمة ٢١٠ — ٢١٢

الصلاة والصيام وكان مجاب الدعوة.ذكره بعضهم فى الصحابة واكثر المحدثين لايصححون له صحبة وذكروه فى التابعين وكان يظهر الانكار على المغيرة بن شعبة وآلى معاوية رضى الله عنهما على الكوفة ولكن المغيرة كان فيه حلم وأناءة فكان يصفح عنه ويعظه فيما بينه وبينه ويحذره غب هذا الصنيع فان معارضة السلطان شديد وبالها فلم يرجع حجر عن ذلك

فلما توفى المغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنه وجمعت الكوفة مع البصرة لزياد دخلها زياد وقد التف حول حجر جماعات من شيعة على كرم الله تعالى وجهه يقولون بامر حجر ويشدون على يده ويسبون معاوية ويتبرءون منه وذكر ابن جرير وغيره ان حجرا واصحابه كانوا ينالون من عثمان ويطلقون فيه مقالة الجور وينتقدون على الامراء ويسارعون فى الانكار عليهم ويبالغون فى ذلك ويتولون شيعة علىّ ويتشددون فى الدين

ويظهر ان حجرا واصحابه كانوا من الصلحاء البلهاء الذين عملت فيهم الدعاية السبئية وكانوا من الذين يعظمون الهنات ويرتكبون من اجلها الموبقات فجرت بينهم وبين زياد امور يطول ذكرها فكتب زياد بامرهم الى معاوية رضى الله عنه فعدهم معاوية ممن يسعون فى الأرض فسادا ورأى فى استبقائهم فسادا للامة وتفريقا للكلمة وفتقا على الخليفة فامربهم فجىء باربعة عشر منهم اليه فامربهم فقتل سبعة منهم فيهم حجر وعفى عن السبعة الاخر

وروى عن معاوية رضى الله تعالى عنه انه قال: قتل حجر احب من أن اقتل معه مائة ألف وروى الامام أحمد أنه لما قدم معاوية المدينة دخل على ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها فلامته فى قتل حجر فقال

لها يا ام المؤمنين: انى رأيت قتل رجل فى صلاح الناس خيرا من استحيائه فى فسادهم وروى انه لم يزل يعتذر حتى عذرته وروى انه قال لها: دعينى وحجرا حتى نلتقى عند ربنا عزوجل.(١)

قال ابن العربى: وانتم معشر المسلمين اولى ان تدعوهما حتى يقفا بين يدى الله مع صاحبها العدل الامين المصطفى المكين وما انتم ودخولكم حيث لاتشعرون.(٢)

استلحاق معاوية زيادا

ومما نقم على معاوية رضى الله تعالى عنه استلحاقه زيادا والاطته بابى سفيان وقداوضح العلامة المحقق القاضى ولى الدين ابن خلدون امر الاستلحاق والسبب الباعث لمعاوية اليه اجمل ايضاح فقال رحمه الله

كانت سمية أم زياد مولاة للحارث بن كلدة الطبيب وولدت عنده ابابكرة وكان ابو سفيان قد ذهب الى الطائف فى بعض حاجاته فاصابها بنوع من انكحة الجاهليةوولدت زيادا هذا ونسبته الى ابى سفيان واقر لهابه الا انه كان بخفية ولما شب زياد وسمت به النجابة واستكتبه ابو موسى الاشعرى وهو على البصرة واستكفاه عمر فى امر فحسن منار دينه وحضر عنده يعلمه بما صنع فابلغ ما شاء فى الكلام فقال عمروبن العاص وكان حاضرا: لله هذا الغلام لو كان ابوه من

(١) انظر البداية والنهاية ٨ ــ ٤٩ ــ ٥٥ والطبرى ٦ ــ ١٤١ــ ١٦٠
(٢) العواصم ٢١٣

قريش لساق العرب بعصاه قال: ابو سفيان وعلى يسمع والله انى لاعرف اباه ومن وضعه فى رحم امه فقال له على اسكت فلو سمع عمروهذا منك كان اليك سريعا

ثم استعمل على زيادا على فارس فضبطها وكتب اليه معاوية يتهدده ويعرض له بولادة ابى سفيان إياه وكتب اليه على انى وليتك وانا اراك اهلا وقد كان من ابى سفيان فلتة من آمال الباطل وكذب النفس لاتوجب ميراثا ولانسبا ومعاوية يأتى الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام.

ولما قتل على وصالح زياد معاوية وضع مصلقة بن هبيرة الشيبانى على معاوية ليعرض له بنسب ابى سفيان ففعل ورأى معاوية ان يميله باستلحاقه فالتمس الشهادة بذلك ممن علم لحوق نسبه بابى سفيان فشهد له رجال من اهل البصرة والحقه، وكان اكثر شيعة على ينكرون ذلك وينقمونه على معاوية حتى اخوه ابوبكرة (١)

قال القاضى ابوبكر: وقد صارت المسألة الى الخلاف بين الامة وفقهاء الامصار فخرجت من حد الانتقاد الى حد الاعتقاد: وقد صرح مالك فى كتاب الاسلام وهو الموطأ بنسبه فقال فى دولة بنى العباس: زياد بن ابى سفيان ولم يقل كما يقول المجادل زياد بن ابيه. وفى ذلك فقه بديع لم يفطن له احد، وهو انها لما كانت مسألة خلاف ونفذ الحكم فيها باحد الوجهين لم يكن لها رجوع فان حكم القاضى فى مسائل الخلاف باحد القولين يمضيها وير فع الخلاف فيها والله اعلم.(٢)

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٣ -- ٧ — ٨ - (٢) العواصم ٢٤٢

الخاتمة

مما له علاقة وثيقة بمقصود الكتاب الكلام على يزيد بن معاوية وعلى واقعة الحسين رضى الله تعالى عنه معه وواقعة ابن الزبير رضى الله تعالى عنه معه ومع عبد الملك بن مروان وما يستتبع ذلك من الكلام على الخروج على الأمام وحكم قتال الخارجين عليه

الخروج على الأمام

عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال دعانا النبى ﷺ فبايعناه فقال: فيما اخذ علينا ﴿ان بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرة علينا وان لاننازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان﴾ رواه الشيخان

عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: ﴿من كره من اميره شيئا فليصبر فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية﴾ رواه الشيخان

تقدم ان الامامة تنعقد باحد ثلاثة امور بعقد اهل الحل والعقد لانسان وباستخلاف الامام وبجعل الامام الامر شورى بين عدد محصور اوغيره ثم الاتفاق على واحد منهم، ونزيد هنا رابعا وهو تغلب ذى شوكة على السلطة واخذه بزمام الامور فتنعقد له الامامة بهذا الامر وان كان فاسقا كما صرحوا به ولكن ما هو حكم عزل من

انعقدت له الامامة وما حكم الخروج عليه

قال النووى: واما الخروج عليهم وقتالهم فحرام باجماع المسلمين وان كانوا فسقة ظالمين وقد تظاهرت الاحاديث بمعنى ما ذكرت واجمع اهل السنة انه لاينعزل السلطان بالفسق واما الوجه المذكور فى كتب الفقه انه ينعزل وحكى عن المعتزلة ايضا فغلط من قائله مخالف للاجماع

قال العلماء وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن واراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة فى عزله اكثر منها فى بقائه

قال القاضى عياض: اجمعوا على ان الامامة لاتنعقد للكافر وعلى انه لوطرأ عليه الكفر انعزل قال: وكذا لو ترك اقامة الصلوات والدعاء اليها قال: وكذا عند جمهورهم البدعة قال: وقال بعض البصريين تنعقد له وتستدام له لانه متأول قال القاضى: فلو طرأ عليه كفر او تغيير للشرع او بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب امام عادل ان امكنهم ذلك فان لم يقع ذلك الا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولايجب فى المبتدع الا اذا ظنوا القدرة عليه فان تحققوا العجز لم يجب القيام وليهاجر المسلم عن ارضه الى غيرها ويفر بدينه

قال ولا تنعقد بفاسق ابتداء فلو طرأ على الخليفة فسق قال بعضهم يجب خلعه الا ان تترتب عليه فتنة وحرب وقال جماهير اهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين لاينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولايجوز الخروج عليه بذلك بل يجب وعظه وتخويفه للاحاديث الواردة فى ذلك

قال وقد ادعى ابو بكر بن مجاهد فى هذا الاجماع وقد رد عليه بعضهم هذا بقيام الحسين وابن الزبير واهل المدينة على بنى امية وبقيام جماعة عظيمة من التابعين والصدر الاول على الحجاج مع ابن الاشعث وتأول هذا القائل قوله ﴿ ان لاننازع الامر اهله﴾ فى ائمة العدل وحجة الجمهور ان قيامهم على الحجاج ليس لمجرد الفسق بل لما غير من الشرع وظاهر من الكفر، قال القاضى قيل ان هذا الخلاف كان اول ثم حصل الاجماع على منع الخروج والله اعلم.(١)

وهذا المحكي بقيل من حصول الاجماع بعد خلاف كان فى الصدر الاول هومراد النووى بحكاية الاجماع فى صدر كلامه وصرح به ابن حجر الهيثمى فى تحفة المحتاج فقال: ودعوى المصنف الاجماع على حرمة الخروج على الجائر انما اراد الاجماع بعد انقضاء زمن الصحابة واستقرار الامور: (٢)

حكم خروج الحسين بن على وعبدالله بن الزبير رضى الله عنهم على يزيد

وخروج الحسين وابن الزبيراما لانهما كانا يريان عدم انعقاد بيعته لفسقه ويؤيده إمتناعهما عن البيعة له أولا، وقول الحسين فيما بعث به لأهل الكوفة على ما نقله أبن خلدون عنه: لعمركم ما الأمام إلاالعامل بكتاب الله القائم بشرع الله ،

(١) شرح مسلم ٨ ــ ٣٤ــ ٣٥ ــ

(٢) تحفة المحتاج ٩ ــ ٦٦

او لانهما كانا يريان جواز او وجوب الخروج على الأمام الجائر ممن له اهلية وشوكة وقد صرح بهذا ابن حجر الهيتمى حيث قال: وهم ـــ اى البغاة ـــ مخالفوا الامام ولولاجائرا لحرمة الخروج عليه اى لامطلقا بل بعد استقرار الامر المتأخر عن زمن الصحابة والسلف رضى الله عنهم فلا يرد خروج الحسين بن على وابن الزبير رضى الله تعالى عنهما ومعهما كثير من السلف على يزيد وعبد الملك. (١)

وهذا الامر عنى الحافظ ابن حجر العسقلانى حيث قال: وقسم - أى من الخارجين - خرجوا غضبا للدين من أجل جور الولاة وترك عملهم بالسنة النبوية فهؤلاء اهل حق ومنهم الحسين بن على واهل المدينة فى الحرة والقراء الذين خرجوا على الحجاج.(٢)

حكم قتال الخارج على الامام الجائر

قال النووى فى المنهاج: ولايقاتل البغاة حتى يبعث اليهم امينا فطنا ناصحا يسألهم ما ينقمونه فان ذكروا مظلمة اوشبهة ازالها

وقال ابن قدامة الحنبلى: فمن خرج على من ثبتت امامته باحد هذه الوجوه باغيا وجب قتاله، ولا يجوز قتالهم حتى يبعث اليهم من يسألهم

(١) تحفة المحتاج ٩ ـــ ٦٦ وما قاله من ان ابن الزبير خارج على عبد الملك مخالف للصحيح الذى عليه بجماهير العلماء من ان عبد الملك هو الخارج على ابن الزبير كما سياتى (٢) فتح البارى ١٢ ـــ ٢٤٠

ويكشف لهم الصواب الا ان يخاف كلبهم فلا يمكن ذلك فى حقهم فاما ان امكن تعريفهم عرَّفهم ذلك وازال ما يذكرونه من المظالم وازال حججهم فان لجوا قاتلهم حينئذ لان الله تعالى بدأ بالأمر بالاصلاح قبل القتال فقال سبحانه ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾(١)

وروى ان عليا رضى الله عنه راسل اهل البصرة قبل وقعة الجمل ثم امر اصحابه ان لايبدؤهم بالقتال ثم قال: ان هذا يوم من فلح فيه فلح يوم القيامة ثم سمعهم يقولون الله اكبر يالثارات عثمان فقال اللهم اكب قتلة عثمان لوجوههم وروى عبد الله بن شداد بن الهادى ان عليا لما اعتزلته الحرورية بعث اليهم عبد الله بن عباس فواضعوه كتاب الله ثلاثة أيام فرجع منهم أربع آلاف.

فان ابوا الرجوع وعظهم وخوفهم القتال وانما كان كذلك لان المقصود كفهم ودفع شرهم لاقتلهم فاذا امكن بمجرد القول كان اولى من القتال لما فيه من الضرر بالفريقين فان سألوا الإنظار نظر فى حالهم وبحث عن امرهم فان بان له ان قصد هم الرجوع الى الطاعة ومعرفة الحق امهلهم قال ابن المنذر اجمع على هذا كل من احفظ عنه من اهل العلم.(٢)

---

(١) الحجرات ٩

(٢) المغنى لابن قدامه ٨ ـ ١٠٨

وقال ابن الهمام ويجب على كل من اطاق الدفع ان يقاتل ـــ اى الخوارج ـــ مع الامام الا ان ابدوا ما يجوز لهم القتال ـــ اى بحسب اجتهادهم ـــ كأن ظلمهم او ظلم غيرهم ظلما لاشبهة فيه بل يجب ان يعينوهم حتى ينصفهم ويرجع عن جوره بخلاف ما اذا كان الحال مشتبها انه ظلم مثل تحمل بعض الجبايات التى للإمام اخذها والحاق الضرر بها لدفع ضرر اضر منه.[1]

وقال الحافظ العسقلانى فى الكلام على حديث قتال على رضى الله تعالى عنه للخوارج: وفيه جواز قتال من خرج عن طاعة الامام العادل ونصب الحرب فقاتل على اعتقاد فاسد واما من خرج عن طاعة امام جائر اراد الغلبة على ماله او نفسه او اهله فهو معذور ولا يحل قتاله وله ان يدفع عن نفسه وماله واهله بقدر طاقته

وقد اخرج الطبرى بسند صحيح عن عبد الله بن الحرث عن رجل من بنى مضر عن علىّ وقد ذكر الخوارج فقال ان خالفوا اماما عادلا فقاتلوهم وان خالفوا اماما جائرا فلا تقاتلوهم فان لهم مقالا. قلت على ذلك يحمل ما وقع للحسين بن على ثم لاهل المدينة فى الحرة ثم لعبد الله بن الزبير ثم للقراء الذين خرجوا على الحجاج فى قصة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث والله اعلم.[2]

(١) فتح القدير ٥ ـــ ٣٣٦ وابن عابدين ٣ ـــ ٣١١ ـــ
(٢) فتح البارى ١٢ ـــ ٢٥٤ ـــ

حكم قتال الحسين وقتله رضى الله تعالى عنه

ومما تقدم علم جواب سؤال هام يدور فى الاذهان وضل فى الجواب عليه مثل القاضى ابوبكر ابن العربى وهو انه اذا كان الحسين جازله الخروج على يزيد للوجوه التى قدمناها فلجيش يزيد ايضا ان يقاتلوه لانهم كانوا يرون صحة امامة امامهم وحرمة الخروج عليه ووجوب قتال الخارجين عليه

وعلم ان الحسين رضى الله تعالى عنه قتل مظلوما شهيد وان قتلته ظلمة فجار فانه لم يخرج الا بحق وعلى امام جائر ولم يرسل اليه من يسأله ما ينقم عليه ولم يقصر الأمام عن غيه وجوره ولم يرتدع عن ظلمه وفجوره .

على ان الحسين رضى الله عنه لم يقتل كما قال ابن تيمية وابن كثير وغيرهم الا وهو طالب الرجوع الى بلده او الى الثغر او الى يزيد داخلا فى الجماعة معرضا عن التفريق بين الامة ولو كان طالب ذلك اقل الناس لوجب اجابته الى ذلك فكيف لاتجب اجابة الحسين الى ذلك. (١)

---

(١) منهاج السنة ٢ ـ ٢٥٦ وانظر البداية والنهاية ٨ ـ ١٧٤ ـ ١٧٥ ـ ٢٣٢

كلام المحقق ابن خلدون فى خروج الحسين وقتله

قال رحمه الله تعالى:ولما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره بعثت شيعة اهل البيت بالكوفة للحسين ان ياتيهم ويقوموا بامره فرأى الحسين ان الخروج على يزيد متعين من اجل فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظنهامن نفسه باهليته وشوكته فاما الاهلية فكانت كما ظن وزيادة واما الشوكة فغلط رحمه الله تعالى فيها لان عصبية مضر كانت فى قريش وعصبية عبد مناف انما كانت فى بنى امية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولاينكرونه وانما نسى ذلك اول الاسلام لما شغل النـاس من الذهول للخوارق وامر الوحى وتردد الملائكة لنصرة المسلمين فاغفلوا امورعوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعها ونسيت و لم يبق الا العصبية الطبيعية فى الحماية والدفاع ينتفع بها فى اقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع امر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشىء للعوائد فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت واصبح مضر اطوع لبنى امية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل وقد تبين لك غلط الحسين الا انه فى امر دنيوى ولايضره الغلط فيه واما الحكم الشرعى فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه القدرة على ذلك ولقد عذله ابن العباس وابن الزبير(١) وابن عمر وابن الحنفية اخوه وغيرهم فى مسيره

---

(١) هذا الذى قاله ابن خلدونمن ان ابن الزبير عذل الحسين فى خروجه وقد جاء فى بعض الروايات (وانظر البداية والنهاية ٨ ـــ ١٦١)وهو الذى يتفق مع =

الى الكوفة وعلموا غلطه فى ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما اراده الله

واما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فرأوا ان الخروج على يزيد وان كان فاسقا لايجوز لما ينشأ عنه من الهرج والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا انكروا عليه ولااثموه لانه مجتهد وهو اسوة المجتهدين

ولايذهب بك الغلط ان تقول بتاثيم هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكربلاء على فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله وابا سعيد الخدرى وانس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن ارقم وامثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولاتعرض لذلك لعلمه انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد منه

وكذلك لايذهب بك الغلط ان تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وان كان هو على اجتهاد ويكون ذلك كما يحد الشافعى والمالكى والحنفى على شرب النبيذ، واعلم ان الامر ليس كذلك وقتاله لم يكن

= العقل ومع جلالة ابن الزبير وصحبته ومروءته وورعه ومجاهداته العجيبة فى التعبد وقرابته من الحسين وما يروى ان الحسين كان اثقل خلق الله عليه وانه ؟ يحثه على الخروج الى الكوفة ليخلوله الجو بمكة لانه كان يعلم ان الناس لايبايـ ما دام الحسين موجودا.هذه الرواية مع انها لم تثبت بطريق صحيح امر الاسماع وتنفر منه الطباع ويتنافى مع شخصية ابن الزبير الفذة البارعة فى الم والدين فلذا ضرب هذا المحقق عنها صفحا

م

عن اجتهاد هؤلا وان كان خلافه عن اجتهاد هم وانما انفرد بقتاله يزيد واصحابه

ولاتقولن ان يزيد وان كان فاسقا و لم يجز هؤلاءالخروج عليه فافعال عندهم صحيحة واعلم انه انما ينفذ من اعمال الفاسق ما كان مشروع وقتال البغاة عندهم من شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مفقو في مسألتنا فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولاليزيد بل هى من فعلات المؤكدة لفسقه والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتها والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد

وقد غلط القاضى ابوبكرابن العربىالمالكى فى هذا فقال فى كتاب الذى سماه بالعواصم والقواصم ما معناه: ان الحسين قتل بشرع جد وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل ومن اعدل من الحسين فى زمانه فى امامته وعدالته فى قتال اهل الاراء. (١)

حال يزيد

الذى عليه جماهير العلماء ان يزيد من ملوك المسلمين الجباب وخلفائهم غير الراشدين (روى عن الامام احمد انه قيل له الا تكتب الحديث عن يزيد قال لا ولا كرامة اوليس هو الذى فعل باهل المدين ما فعل) (٢)

---

(١) المقدمة ٢١٦ — ٢١٧ —

(٢) منهاج السنة ٢ — ٢٥٣ —

وقد شذ القاضى ابوبكر بن العربى وتبعه محب الدين الخطيب فذهبا الى عدالته واستدلا على ذلك بما هو او هن من نسج العنكبوت

استدل ابن العربى بتسمية الامام الليث بن سعد يزيد بامير المؤمنين.(١) ومن ينكر كونه امير المؤمنين وكونه اميرا للمؤمنين لاينافى فسقه وروى عن عمر بن عبد العزيز انه ضرب من سماه امير المؤمنين عشرة سياط

واستدل محب الدين الخطيب على ذلك بما نقله ابن كثير، انه لما رجع اهل المدينة من عند يزيد وخلعوه مشى عبد الله بن مطيع واصحابه الى محمد بن الحنفية فارادوه على خلع يزيد فابى عليهم فقال ابن مطيع ان يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب فقال لهم ما رأيت منه ماتذكرون وقد حضرته واقمت عنده فرأيته مواظبا على الصلاة متحريا للخير يسأل عن الفقه ملازما للخير الى اخر الحوار بينهم.(٢)

وهذا الخبر ذكره ابن كثير بدون سند وان ثبت فاولى ان يستدل به على فسقه لان الاثبات مقدم على النفى والجرح مقدم على التعديل

وبعضهم نسبه الى الكفر والزندقة وهو مردود بامور

١ـ ان اهل المدينة لما خرجوا عليه وخلعوه لم يذكروا عنه ـ وهم اشد الناس عداوة له ـ الا شرب الخمر وترك الصلاة ونحو ذلك ولم يتهموه بكفر وزندقة. (٣)

---

(١) العواصم ٢٢٨

(ـ(٢) ـ(٣)ـ) البداية والنهاية ٨ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ـ

٢ـــ بيعة ابن عمر له بعد وفاة ابيه وعدم نقضه بيعته حين نقضها اهل المدينة، روى البخارى ان اهل المدينة لما خلعوه جمع ابن عمر حشمه وولده وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة﴾ وانا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ﷺ وانى لا ارى غدرا اعظم من ان نبايع رجلا على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال وانى لا اعلم احدا خلعه ولا بايع فى هذا الامر الا كان الفيصل بينى وبينه.

٣ـــ وكذلك اكثر الامة وفيهم اكثر الصحابة والتابعين لم يخلعوا بيعته قال ابن كثير قال ابو جعفر الباقر: لم يخرج احد من آل ابى طالب ولا من بنى عبد المطلب ايام الحرة.

وما يقال من انه لما اتاه نبأ وقعة الحرة استبشر بذلك واستشفى به وانشد شعر ابن الزبعرى فى وقعة احد

ليت اشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

فى غير ذلك من ابيات هى صريح الكفر كذب كما قال ابن كثير. وكذا ما يقال انه انشده لما اتاه خبر مقتل الحسين رضى الله تعالى عنه كما قال ابن تيمية.(١)

---

(١) منهاج السنة ٢ـــ٢٤٧

مقتل الحسين رضى الله تعالى عنه وموقف يزيد منه

قال ابن تيمية: الذى نقله غير واحد ان يزيد لم يامر بقتل الحسين ولا كان له غرض فى ذلك بل كان يختار ان يكرمه ويعظمه كما امره بذلك معاوية رضى الله عنه ولكن كان يختار ان يمتنع من الولاية والخروج عليه فلما قدم الحسين وعلم ان اهل العراق يخذلونه ويسلمونه طلب ان يرجع الى يزيد اويرجع الى وطنه او يذهب الى الثغر فمنعوه من ذلك حتى يستأسر فقاتلوه حتى قتل مظلوما شهيدا رضى الله تعالى عنه وان خبر قتله لما بلغ يزيد واهله ساءهم ذلك وبكوا على قتله وقال يزيد لعن الله ابن مرجانة يعنى عبد الله بن زياد اما والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله وقال قد كنت ارضى بطاعة اهل العراق بدون قتل الحسين وانه جهز اهله باحسن الجهاز وارسلهم الى المدينة لكنه مع ذلك ما انتصر للحسين ولا امر بقتل قاتله ولا اخذ بثأره وما يذكر من سبى نساءه والدوران بهم فى البلدان وحملهم على الجمال بغير اقتاب فهذا كذب و باطل.(١)

وذكر نحوه ابن كثير وذكر قولا آخر فقال وقيل ان يزيد فرح بقتل الحسين اول ما بلغه ثم ندم على ذلك.(٢)

وما يقال ان السماء يومئذ امطرت دما وان الحمرة ظهرت فى السماء و لم تظهر قبل ذلك وانه ما رفع حجر فى الدنيا الا وجد تحته دم عبيط الى غير ذلك كل ذلك كذب.(٣)

---

(١) منهاج السنة ٢ — ٢٤٩ — (٢) البداية والنهاية ٨ — ٢٣٢

(٣) البداية والنهاية ٨ — ٢٠١ منهاج السنة ٢ — ٢٥٠

لعن يزيد

واذ قد تبين ان كفر يزيد لم يثبت فلا يجوز لعنه فان لعن المسلم المعين حرام ومن احسن ما وقفت عليه فى ذلك ما قاله الشيخ ابو عمر بن الصلاح فى فتاواه حيث سأل عن لعن يزيد لكونه امر بقتل الحسين

فاجاب لم يصح عندنا انه امر بقتله رضى الله عنه والمحفوظ ان الآمر بقتاله المفضى الى قتله كرمه الله انما هو عبد الله بن زياد والى العراق اذ ذاك واما سب يزيد ولعنه فليس شأن المؤمنين وان صح انه قتله أو أمر بقتله وقد ورد فى الحديث المحفوظ ان لعن المسلم كقتله وقاتل الحسين رضى الله عنه لايكفر بذلك وانما ارتكب اثما عظيما وانما يكفر بالقتل قاتل نبى من الانبياء

والناس فى يزيد ثلاث فرق فرقة تتولاه وتحبه وفرقة تسبه وتلعنه وفرقة متوسطة فى ذلك لاتتولاه ولاتلعنه وتسلك به مسلك سائر ملوك الاسلام وخلفائهم غير الراشدين فى ذلك

وهذه الفرقة هى المصيبة ومذهبها هو اللائق بمن يعرف سيرة الماضين ويعلم قواعد الشريعة المطهرة جعلنا الله من خيار اهلها آمين. (١)

---

(١) فتاوى ابن الصلاح ٣٨ —

حكاية مقتل الحسين وما شجر بين الصحابة فى المجامع

قال ابن حجر الهيثمى قال الغز الى وغيره: ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فانه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم وهم علم الدين تلقى الأئمة الدين عنهم رواية ونحن تلقيناه عنهم دراية فالطاعن فيهم مطعون طاعن فى نفسه ودينه

قال ابن الصلاح والنووى:الصحابة كلهم عدول وكان للنبى ﷺ مأة الف وار بعة عشر الف صحابى عند موته ﷺ والقرآن والاخبار مصرحان بعدا لتهم ولما جرى بينهم محامل.(١)

(١) الصواعق المحرقة ٢٢١ ـــ ٢٢٢

امير المؤمنين عبد الله بن الزبير

وهو صحابي ابوه الزبير احد العشرة المشهود لهم بالجنة وحواري النبي ﷺ وامه اسماء بنت ابي بكر الصديق رضى الله تعالى عنها ذات النطاقين وجدته لابيه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ورضى عنها اسلمت وهاجرت وعمة ابيه خديجة بنت خويلد ام المؤمنين وخالته عائشة ام المؤمنين

وهو اول مولود للمهاجرين الى المدينة بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحا شديدا لان اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم فلا يولد لهم فاكذبهم الله سبحانه وتعالى، فحنكه رسول الله ﷺ بتمرة لاكها فكان ريق رسول الله ﷺ اول شيء نزل في جوفه ثم دعى له وبارك عليه وسماه عبد الله وكناه ابابكر بكنية جده واسمه وولد في السنة الاولى من الهجرة

وكان صوا ما قواما طويل الصلاة وصولا للرحم عظيم الشجاعة ومن مجاهداته في العبادة المنقولة عنه انه قسم الدهر ثلاث ليال ليلة يصلى قائما حتى الصباح وليلة راكعا حتى الصباح وليلة ساجدا حتى الصباح وغزى ابن الزبيرا افريقية مع عبد الله بن سعد بن ابي سرح فاتاهم ملك افريقية في مأة الف وعشرين الفا وكان المسلمون عشرين الفا فسقط في ايديهم فنظر ابن الزبير الى ملكهم قد خرج من عسكره فاخذ ابن الزبير جماعة فقصده فقتله ثم كان الفتح على يديه

وكان لاينازع في ثلاث في العبادة والشجاعة والفصاحة وقد جاء

سيل مرة فطبق البيت فجعل يطوف سباحة وروى ابن نعيم انه كان لابن الزبير مئة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة غير لغة الآخر وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته

وكنت اذا نظرت اليه فى امر دنياه قلت هذا رجل لم يرد الله والدار الاخرة طرفة عين.واذا نظرت اليه فى امر آخرته قلت هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين. (1)

امر عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما

كان ابن الزبير قد ابى بيعة يزيد فى اول الامر حينما اخذ له بيعة العهد ابوه معاوية وآخر الامر حينما تولى الامر بعد موت ابيه ولما بلغه مقتل الحسين رضى الله عنهما اخذ يؤلب الناس على بنى امية ويحثهم على خلع يزيد فبايعه خلق كثير فى الباطن وكاتبه أهل المدينة وغير هم فلما بلغ ذلك يزيد شق عليه، ثم قدم وفد من المدينة على يزيد فأكرمهم وأجازهم بجوائز سنية،ثم عادوا من عنده بالجوائز وأنكروا عليه شرب الخمر وترك الصلاة وغير ذلك فخلعوه وخلعه عامة الناس ولم يخلعه على بن الحسين زين العابدين ولا محمد بن الحنفية ولا ابن عمر ولا

---

(1) التهذيب ١ — ٢٦٦ الاصابة ٢ — ٣٠٩

البدايةو والنهاية ٨ — ٣٣٢

احد من بنى عبد المطلب ولا احد من بيت ابن عمر [1] وولى اهل المدينة عليهم عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة فبعث إليهم يزيد جندا فكانت وقعة الحرة وماادراك ماوقعة الحرة

وكان يزيد قد امرهم ان يذهبوا بعد ما فرغوامن امر المدينة الى قتال ابن الزبير فى مكة وكان قد التحق بابن الزبير رضى الله تعالى عنهماخلائق كثيرون فساروا حتى وصلوا مكة وقاتلوا ابن الزبيررضى الله تعالى عنهما ودام القتال نحو اربعة اشهر حتى بلغهم نبأ موت يزيد فرجعوا إلى الشام وقد تولى الأمر بعهد منه ابنه معاوية بن يزيد وقد كان شابا صالحا ضعيفا ولم يمض عليه ستة اشهر حتى مات ولم يعهد الى احد

وتولى الامر من بعده مروان بن الحكم ولم تمض عليه عشرة اشهر حتى مات وتولى الامر من بعده ابنه عبد الملك

(فلما مات يزيد استفحل امر ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما جدا وبويع له بالخلافة فى جميع البلاد الاسلامية وبايع له الضحاك بن قيس بدمشق واعمالها ولم يتخلف عنه الا بعض اهل الشام حتى هم مروان بالقدوم على ابن الزبير والبيعة له فثناه عن ذلك بعض شيعة بنى امية) [2] وبايعوه بالخلافة فعارض ابن الزبير واخذ الشام ومصر من نوابه ثم جهز السرايا الى العراق ومات

---

(١) انظر البداية والنهاية ٨ ــ ٢١٧ ــ ٢١٨

(٢) نقل هذه الامور فى فتح البارى عن الطبرى وخليفة بن خياط وابى زرعة فى تواريخهم

وتولى ابنه عبد الملك فقتل مصعب بن الزبير والى العراق من قبل اخيه عبد الله واخذها وولى عليها الحجاج ثم بعثه الى قتال عبد الله بن الزبير بمكة فحاصره الحجاج بها قريبا من سبعة اشهر حتى ظفر به وقتله سبعة عشر جماد الاولى من سنة ٧٣ وكانت مدة خلافته تسع سنين.[١]

خلافة ابن الزبير رضى الله تعالى عنه

وقد اختلف العلماء فى ان الامام بعد موت معاوية بن يزيد هل كان عبد الله بن الزبير ام مروان بن الحكم ثم ابنه عبد الملك والذى عليه الجماهير من العلماء ان الامام الحق حينئذ كان ابن الزبير

قال السيوطى: والاصح ما قاله الذهبى ان مروان لايعد فى امراء المؤمنين بل هو باغ خارج على ابن الزبير ولاعهده الى ابنه بصحيح وانما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير.[٢]

وقال الحافظ ابن كثير: كان هو ــ ابن الزبير ــ الامام بعد موت معاوية بن يزيد لا محالة وهو ارشد من مروان بن الحكم حيث نازعه بعد ان اجتمعت الكلمة عليه وقامت البيعة له فى الافاق وانتظم له الامر والله اعلم.[٣]

---

(١) انظر مجمع الزوائد ٧ ــ ٢٥٢ والاصابة ٢ ــ ٣١١

(٢) تاريخ الخلفاء ٢١٢ ــ

(٣) البداية والنهاية ٨ ــ ٣٤١

وذهب الحافظ العسقلانى الى ابعد من هذا فلم يعد معاوية بن يزيد ايضا فى امراء المؤمنين ولعل ذلك لعدم الاعتداد بعهد ابيه يزيد اليه لفسق يزيد ولاتفاق جمهور المسلمين على ابن الزبير فقال فى الكلام على قوله ﷺ ﴿يكون بعدى اثنا عشر خليفة يجتمع عليهم الناس﴾

الاولى ان يحمل قوله: بعدى على حقيقة البعدية فان جميع من ولى الخلافة من الصديق الى عمر بن عبد العزيز اربعة عشر نفسا اثنان لم تصح ولايتهما ولم تطل مدتهما وهما معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم والباقون اثنا عشر نفسا على الولاء كما اخبر ﷺ وكانت وفاة عمر بن عبد العزيز سنة احدى ومئة وتغيرت الاحوال بعده وانقضى القرن الاول الذى هو خير القرون

ولا يقدح فى ذلك قوله يجتمع عليهم الناس لانه يحمل على الاكثر الاغلب لان هذه الصفة لم تفقد منهم الا فى الحسن بن على وعبد الله بن الزبير مع صحة ولايتهما والحكم بان من خالفهما لم يثبت استحقاقة الا بعد تسليم الحسن وبعد قتل ابن الزبير والله اعلم.[1]

---

(١) فتح البارى — ١٣ — ١٨٣

واقعة ابن الزبير مع عبد الملك

ونرى ان نختم هذه الخاتمة بما قاله العلامة ابن خلدون فيما جرى بين ابن الزبير وعبد الملك وقد خلط رحمه الله فى كلامه هذا الغث بالسمين فنذكر كلامه ثم نعلق عليه بما عليه من المآخذ وايضاح بعض المواد قال بعد ذكره ما تقدم نقله عنه فى خروج الحسين رضى الله عنه على يزيد

واما ابن الزبير فانه رأى فى قيامه. ما رآه الحسن وظن كما ظن وغلطه فى امر الشوكة اعظم لان بنى اسد لايقاومون بنى امية فى جاهلية ولا اسلام والقول بتعين الخطأ فى جهة مخالفة كما فى جهة معاوية مع علىّ لاسبيل اليه لان الاجماع هنالك قضى لنابه (١) ولم نجده هٰهنا واما يزيد فعين خطئه فسقه وعبد الملك صاحب ابن الزبير اعظم الناس عدالة (٢) وناهيك بعدالته احتجاج مالك بفعله وعدول

(١) مراده الاجماع المتاخر عن زمن الصحابة وإلا فالمسألة كانت مسألة خلاف بين الصحابة بخلاف قضية ابن الزبير وعبد الملك فانه لم يقع الاجماع على طرف منها لا فى زمن الصحابة فنرى ان كثيرا من الصحابة كابن عباس وابن عمر وابن الحنفية كانوا قد امتنعوا عن بيعة الطرفين ولا بعد زمن الصحابة فان المسألة مسألة خلاف بين العلماء وان كان الجمهور على ان الحق كان فى طرف ابن الزبير رضى الله عنه

(٢) اى من اعظم الناس عدالة كما جاء فى بعض الاحاديث ان افضل الاعمال كذا والمراد من افضل الاعمال

ابن عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير[1] وهم معه بالحجاز مع ان الكثير من الصحابة كانوا يرون ان بيعة ابن الزبير لم تنعقد لانه

---

(١) هذا غير صحيح فان ابن عباس لم يبايع أحداً لا ابن الزبير ولا عبد الملك كما قاله ابن خلدون نفسه فى التاريخ ج ــ ٣ ــ ص ــ ٢٧ ــ ٢٨

وقال ابن كثير ولما وقع الخلاف بين ابن الزبير وعبدالملك اعتزل ابن عباس ومحمد بن الحنفية الناس فدعا هما ابن الزبير ليبايعاه فابيا عليه وقال كل منهما لانبايعك ولا نخالفك فخرجا الى الطائف واقام ابن عباس سنتين لم يبايع احدا (البداية والنهاية ــ٧ــ٣٠٥ ــ ٣٠٦) وذكر ابن كثير فى حمل ابن الزبير لهما على البيعة امرا منكرا الا انه فنده فى صحيفة ٢٧٨

ولم يعش ابن عباس بعد امارة عبد الملك الا نحو سنتين فان امارة عبد الملك كانت فى ثالث رمضان سنة خمس وستين ووفاة ابن عباس كانت سنة ثمان وستين

وكذلك ابن عمر لم يبايع احدا منهما حتى استشهد ابن الزبير فبايع عبد الملك عن عبد الله بن دينار قال شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك قال كتب انى اقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك امير المؤمنين على سنة الله وسنة رسول الله ﷺ ما استطعت وان بنى قد اقروا بمثل ذلك. رواه البخارى

قال فى فتح البارى كان عبد الله بن عمر فى تلك المدة ــ مدة الخلاف بين ابن الزبير وعبد الملك ــ امتنع ان يبايع لابن الزبير او لعبد الملك كما كان امتنع ان يبايع لعلى او لمعاوية ثم بايع لمعاوية لما اصطلح مع الحسن بن على واجتمع عليه الناس وبايع لابنه يزيد بعد موت معاوية لاجتماع الناس عليه ثم امتنع من المبايعة لاحد حال الاختلاف الى ان قتل ابن الزبير وانتظم الملك كله لعبد الملك فبايع له حينئذ فهذا معنى قوله لما اجتمع الناس على عبد الملك. فتح البارى ــ ١٣ ــ ١٦٥

لم يحضرها اهل العقد[1]والحل كبيعة مروان[2]وابن الزبير على خلاف ذلك

والكل مجتهدون محمولون على الحق فى الظاهر وان لم يتعين فى جهة منهما والقتل الذى نزل به بعد تقرير ما قررنا يجىء على قواعد الفقه[3] وقوانينه مع انه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريه الحق.

---

(١) ان كان مراده جميع اهل العقد والحل فهم لم يحضروا لابيعة ابن الزبير ولابيعة مروان وان كان مراده جلهم فقد حضروا بيعة ابن الزبير و لم يتخلف عن بيعته الا بعض اهل الشام حتى ان مروان هم بالبيعة له فثناه عن ذلك بعض شيعة بنى امية كما سبق

(٢) وأنظر مامعنى هذاالقول ان كان مراده أن أهل العقد والحل حضروها فهذاغير صحيح فانهم لم يحضروها لاكلهم ولاجلهم وإن كان مراده كما أن بيعة مروان لم يحضرهاإهل العقد والحل فصحيح ولكن ما معنى قوله وإبن الزبير على خلاف ذلك وعلى كل تقدير فقوله وأبن الزبيرعلى خلاف ذلك غير صحيح .

(٣) مجيئه على قواعد الفقه من جهة أن عبد الملك كان يرى أن بيعة ابن الزبير لم تنعقد لأنه لم يحضرها جميع أهل الحل والعقدوكان هو أقوى شوكة منه فكان يرى نفسه أحق بالخلافة وأنه يجب عليه القيام بهاوصرف غيره عنهاتوحيدالكلمة المسلمين وان كان مخطئا فى رايه هذاعند جماهير العلماء

ثم قال ونعم ما قال فلذا آثرنا ان نختم كتابنا به : هذا هو الذى ينبغى ان تحمل عليه افعال السلف من الصحابة والتابعين فهم خيار الامة واذاجعلنا هم عرضة للقدح فمن الذى يختص بالعدالة والنبى ﷺ يقول: ﴿خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ـــ مرتين او ثلاثا ـــ ثم يفشو الكذب﴾ فجعل الخيرة مختصة بالقرن الاول والذى يليه

فاياك ان تعود نفسك اولسانك التعرض لاحد منهم ولايشوش قلبك بالريب فى شىء مما وقع منهم والتمس لهم مذاهب الحق وطرقه ما استطعت فهم اولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قاتلوا او قتلوا الا فى سبيل جهاد او اظهار حق

واعتقد مع ذلك ان اختلا فهم رحمة لمن بعدهم من الامة ليقتدى كل واحد بمن يختاره منهم ويجعله امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكمة الله فى خلقه واكوانه واعلم انه على كل شىء قدير واليه الملجأ والمصير والله تعالى اعلم.(١)

١٩ شباط ١٩٨٦ الموافق ١٠ جمادا الآخرة ١٤٠٦هـ

---

(١)مقدمة ابن خلدون ٢١٧ ـــ ٢١٨

فهرس فصل الخطاب

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة